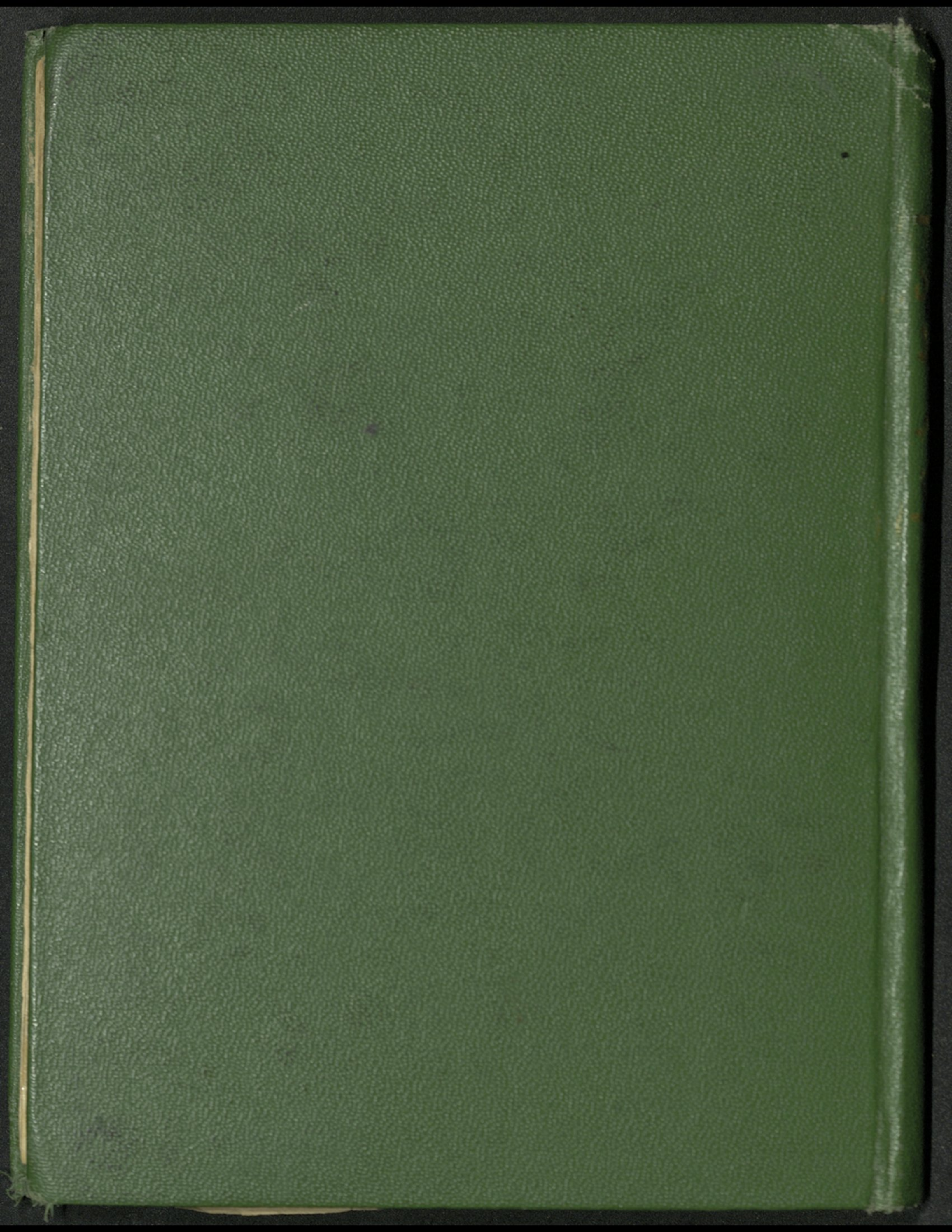
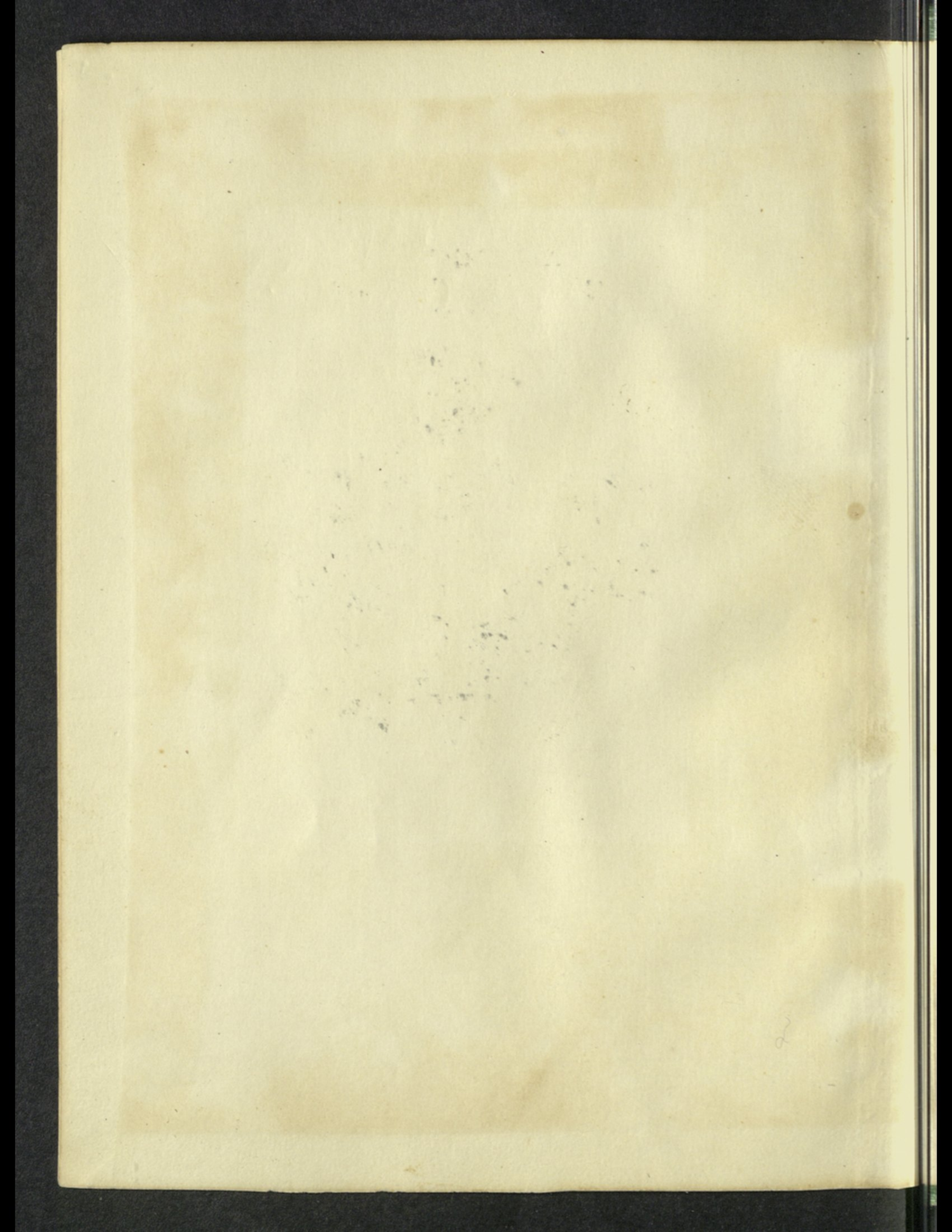
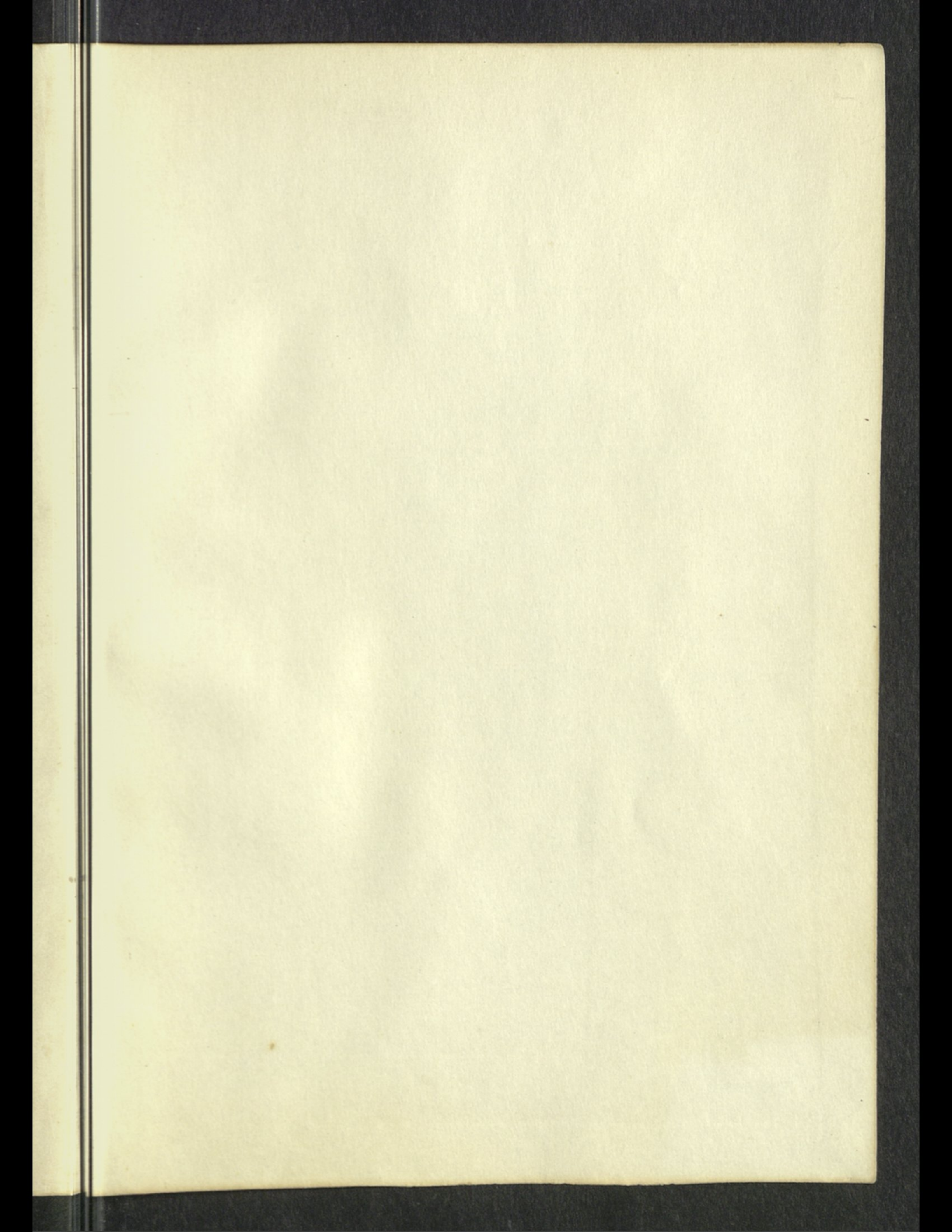
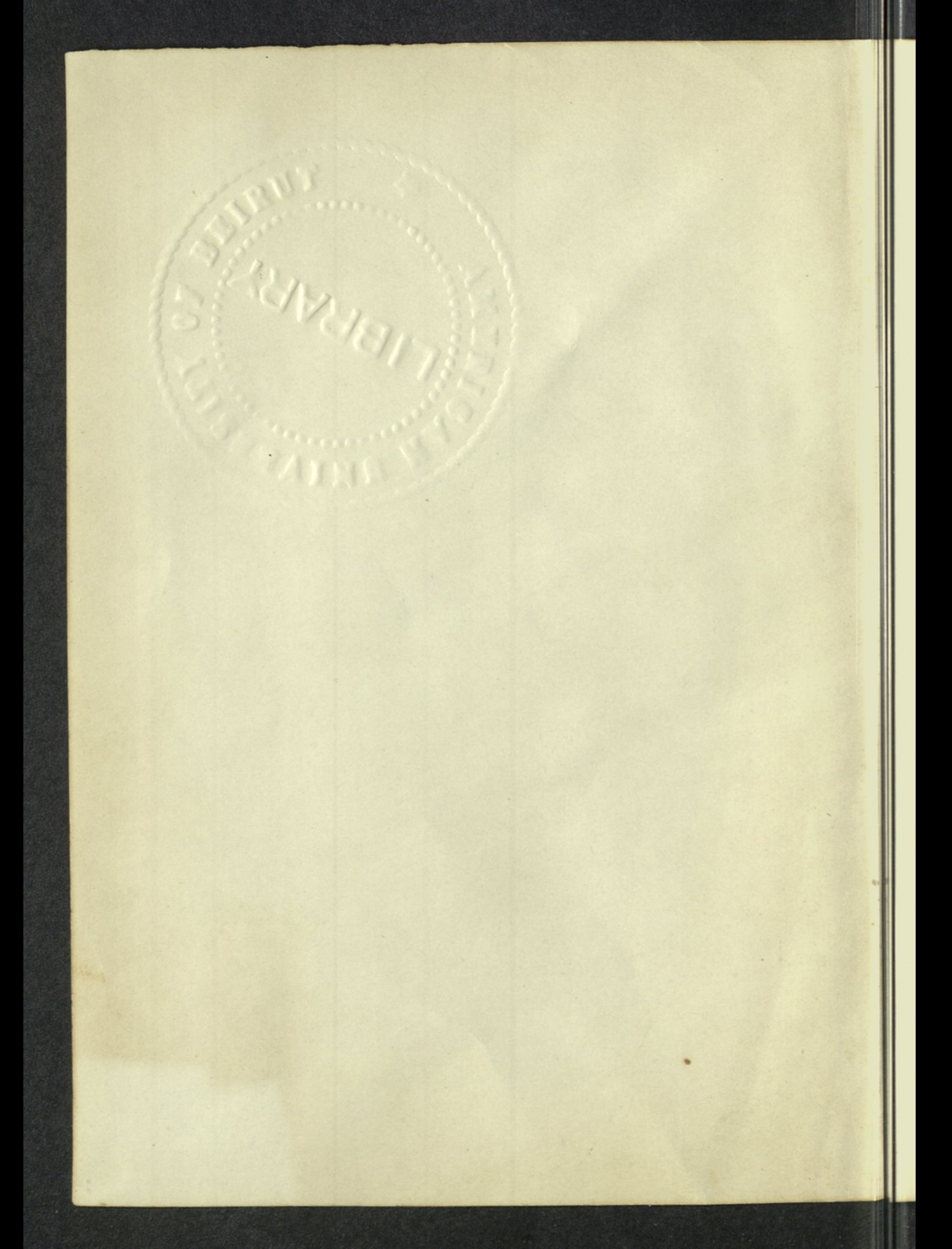
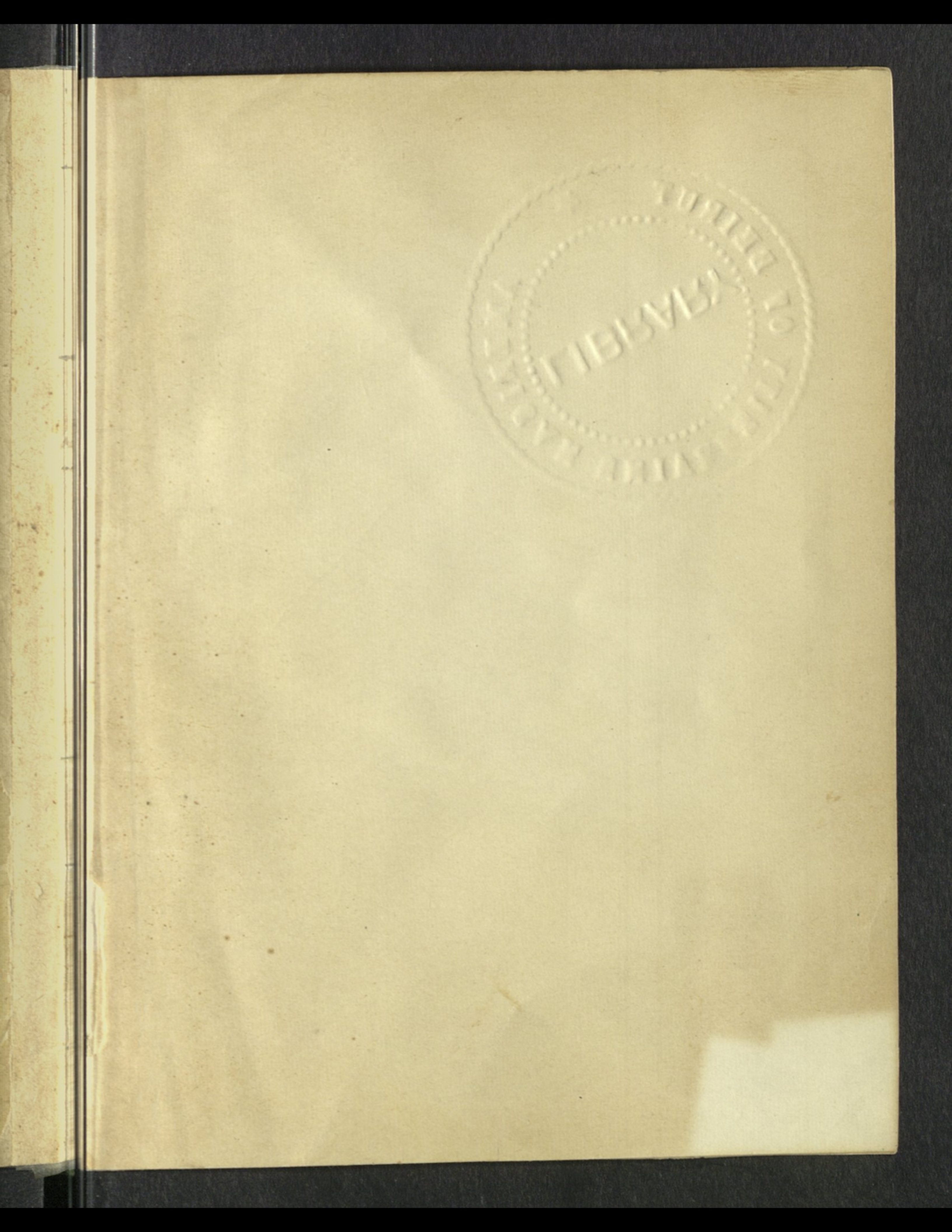
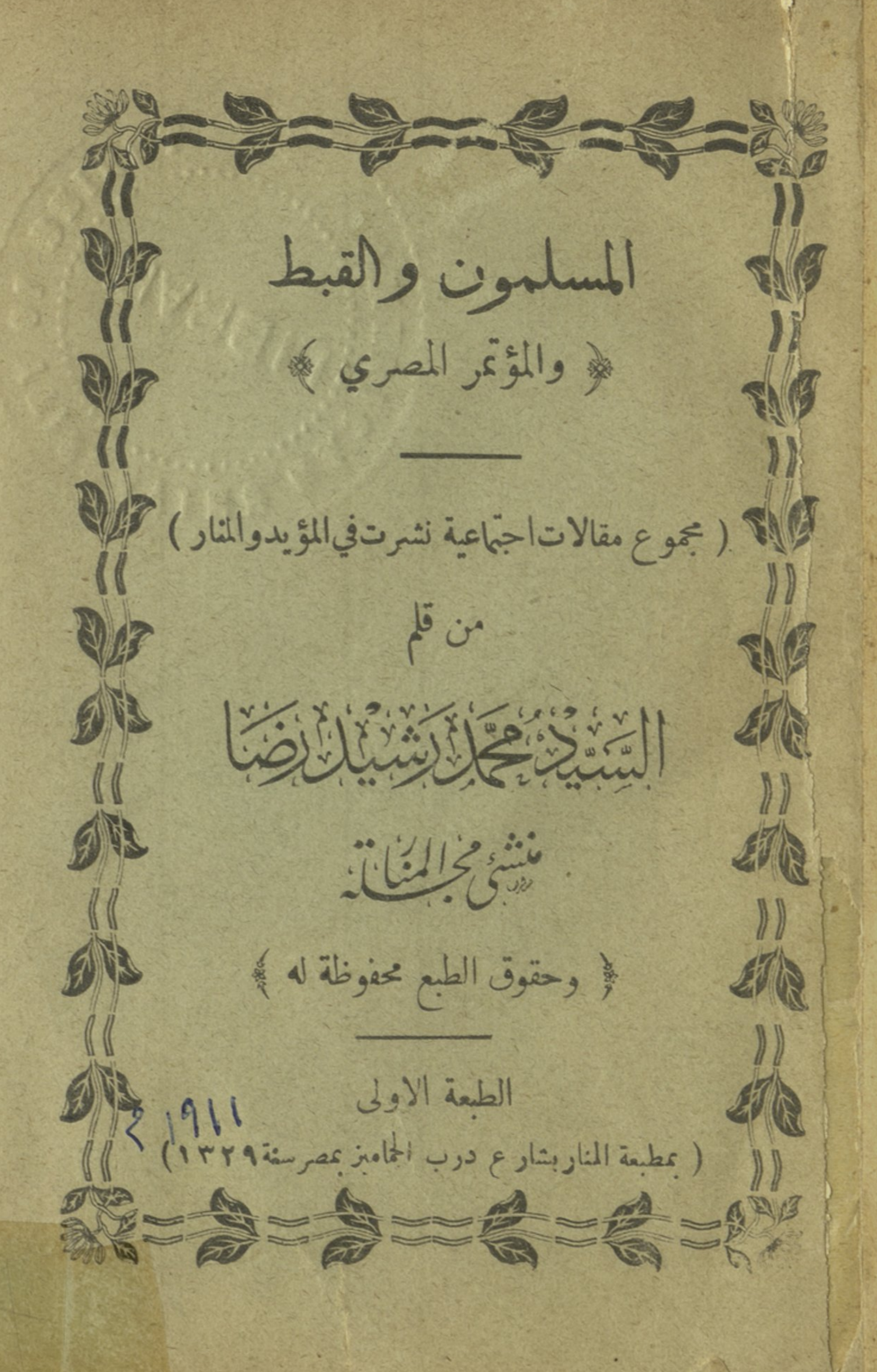












المسلمون والقبط

(والمؤتمر المصري)

(مجموع مقالات اجتماعية نشرت في المؤيد والمنار)

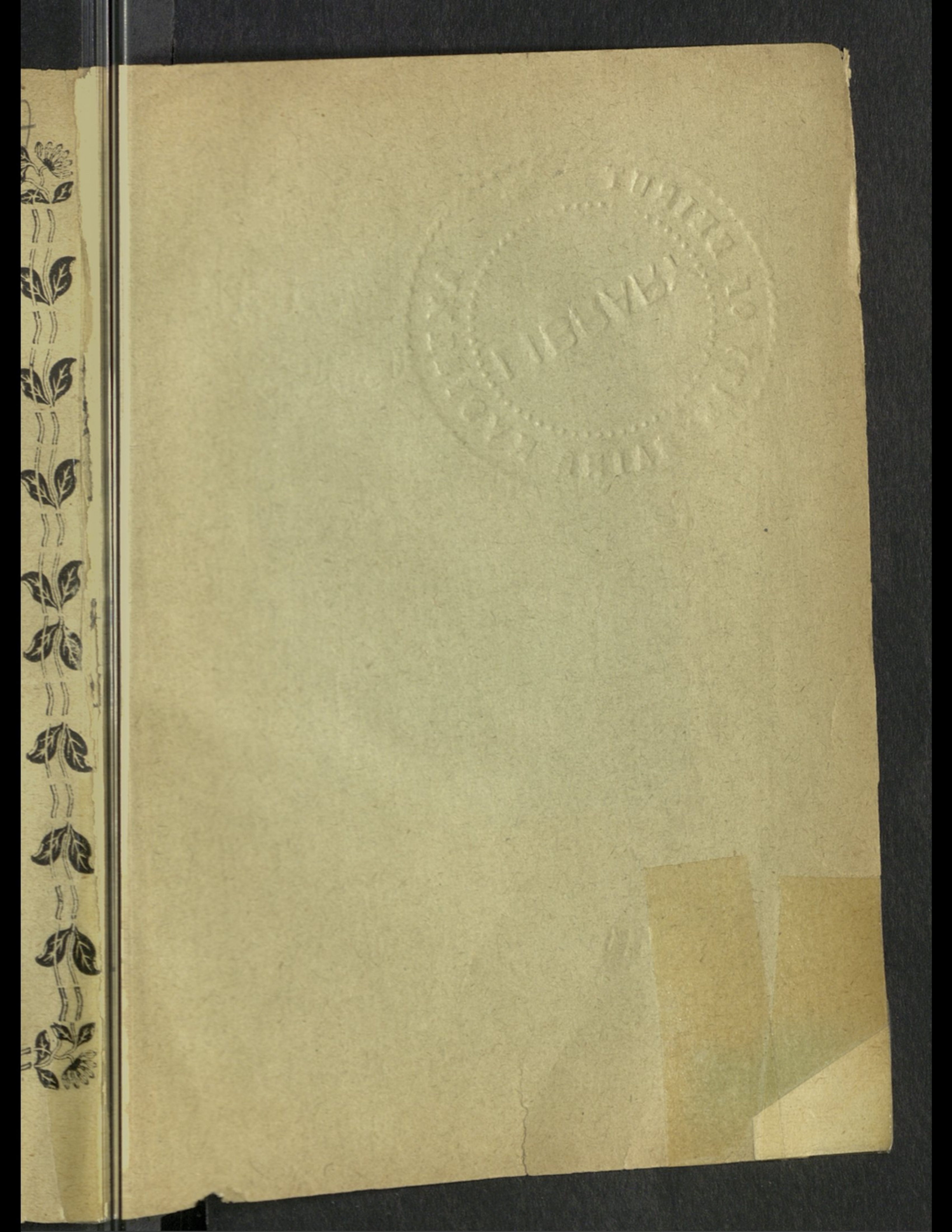
من قلم

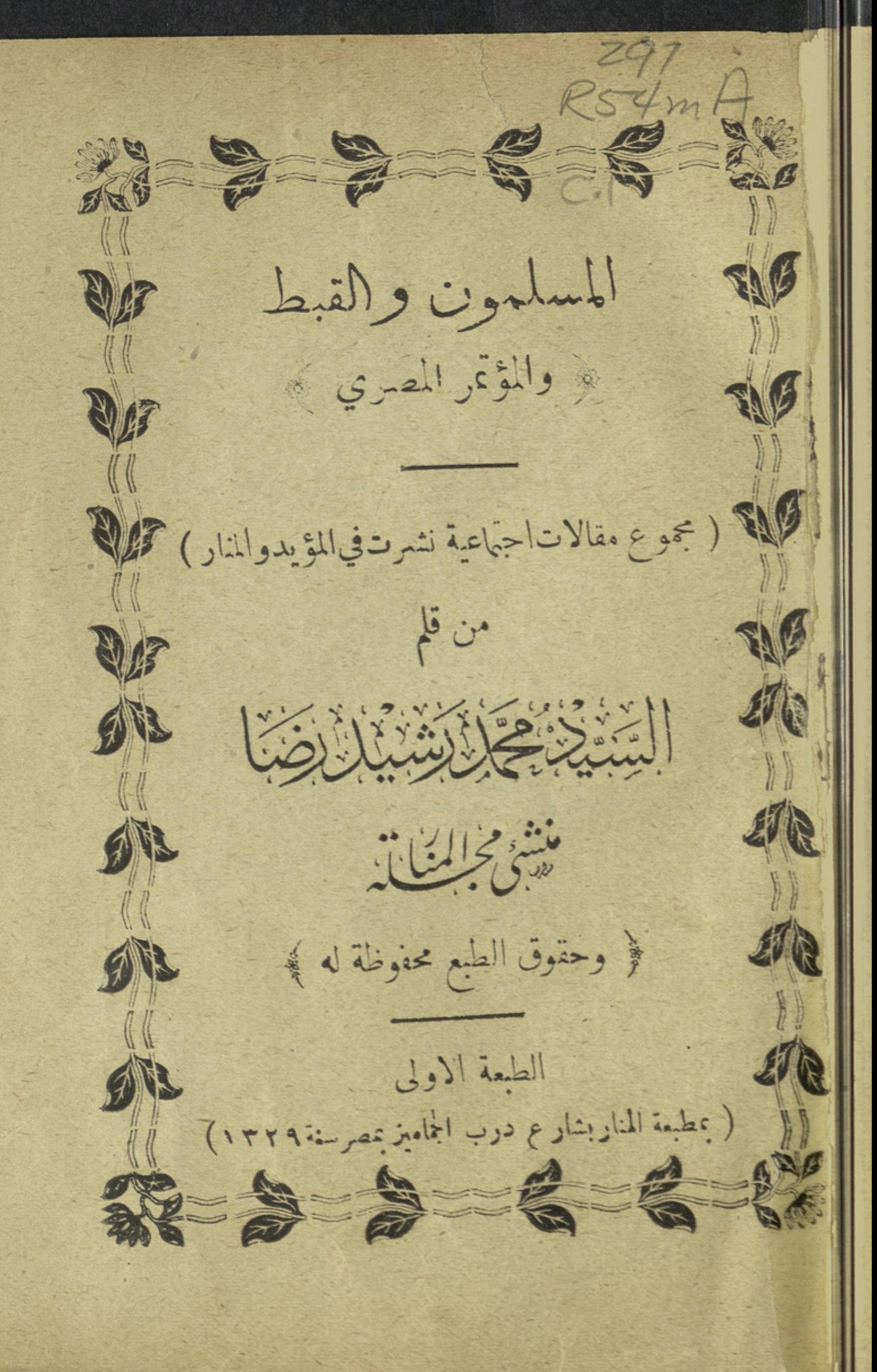
السيد محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار

الطبعة الاولى

(بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر سنة ١٣٢٩)





المسلمون والقبط

﴿ والمؤتمر المصري ﴾

(مجموع مقالات اجتماعية نشرت في المؤيد والمنار)

من قلم

السيد محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار

الطبعة الاولى

(بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر سنة ١٣٢٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذي أُنزل الينا وأنزل اليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون

الاسلام دين الرحمة والعدل ، والعلم والعقل ، فأما حكومته الاسلامية المحضة كحكومة الخلفاء الراشدين ، ومن كان أقرب الى سيرتهم كعمر بن عبد العزيز وصلاح الدين ، فهي حكومة لم ير البشر لها مثالا بأعينهم ، ولا في تواريخ من قبلهم ، في الجمع بين الرحمة والعدل وحرية الدين والعلم والعمل لمن فتح المسلمون بلادهم ، وأما حكومات من دون أولئك الكملة من المسلمين التي نشكو نحن من بعض ملوكها ونصفهم بالظلم فقد كان ظلمهم وشرهم فيها دون ما عرف من ظلم غيرهم من فاتحي الملل الاخرى ،

ولهذا انقرضت جميع الملل والاديان من البلاد التي غلب النصارى أهلها كأوربة وبقيت الملل والمذاهب في الممالك التي فتحها المسلمون الى هذا الزمن الذي تغيرت فيه طبيعة العمران وصار من المتعذر على الاقوياء اكراه أهل الدين على ترك دينهم بالقوة القاهرة أو إبادتهم كما عامل مسيحيو اوربة الوثنيين في عامة البلاد والمسلمين في الاندلس وفرنسة

كان المسلمون في كل ايام قوتهم وسلطانهم ينوطون الكثير من أعمال حكومتهم بغيرهم من اهل البلاد التى فتحوها مع السماح لهم بأن يحاكموا الى رؤسائهم في جميع القضايا التي لا يحبون ان يحاكموا فيها الى المسلمين فكان لهم حكومة خاصة بهم في البلاد الاسلامية وحكومة مشتركة بينهم وبين المسلمين . كل هذا من فضل الاسلام وتسامحه ولا يزال يعترف بذلك المخالفون لنا : بعضهم يعترف به عملا باستقلال فكره واحترام اعتقاده (١) وبعضهم لاقامة الحجة علينا في بعض الاوقات كما وقع من بعض القبط في هذه الايام

---

(١) راجع كتاب الاسلام والنصرانية ، وخطبة موسيو رينيه ميليه في مؤتمر افريقية الشمالية بباريس (ص ٨٢٨) من مجلد المنار الحادي عشر

وكان المسلمون يبذلون المعاملة الحسنى لمن يدخل بلادهم من المخالفين ويعبرون عنهم بالمعاهدين والمستأمنين ، ويعبرون عن الداخلين في حكمهم بأهل الذمة ، أي الذين حفظت حقوقهم بذمة الاسلام ، والوصايا النبوية بالجميع كثيرة مشهورة

لولا الدين الاسلامي لما عرفت العرب الفاتحة تلك الرحمة والعدل والتسامح التي هي زينة التاريخ فللدين الاسلامي الفضل في ذلك ، ولم تكن تلك القسوة من الاوربيين (ولاسيما في اسبانية التي جعلها المسلمون جنة أوربة) خالية من حجة دينية لرؤساء الدين فانهم كانوا يرجعون الى التوراة التي هي أصل المسيحية في مثل هذه الاحكام دون ظواهر بعض نصوص الانجيل في الرحمة

جاء في الفصل العشرين من سفر تثنية الاشتراع (١٠ حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح ١١ فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الذي فيها يكون للتسخير ويستعبد لك ١٢ واذا لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ١٣ واذا دفعها الرب إلهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ١٤ وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب

إلهك ١٥ هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الامم ١٦ وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبك فلا تستبق منها نسمة ما »

ههنا تأمرهم التوراة بابادة جميع الاحياء المغلوبة حتى النساء والاطفال والبهائم ، وفي الفصل ٣٣ من سفر العدد الامر بطرد سكان الارض التي يقدرون عليها حتى لا يبقى منهم أحد . وكأن هؤلاء هم الذين يعجزون عن إبادتهم بالسيف .

كل ماسمح به المسلمون ومنحوه لغيرهم في أيام قوتهم فضلا وإحسانا صار في أيام ضعفهم حقوقاً وامتيازات للاقوياء من الاجانب يميزون به أنفسهم على المسلمين في ديارهم ويؤيدونه بالقوة ولا يعدونه فضلا للمسلمين ولا تسامحا من الاسلام

هذا شأنهم فيما بقي للمسلمين من البلاد وأما ماأخذوه من المسلمين فصار ملكا لهم أو جعلوه تحت حمايتهم فلم يبقوا لهم شيئا فيه من النفوذ ولا المشاركة في السلطة ولا الحرية . ولكنهم أبقوا في بعض البلاد اشباحا حفظوا لها لقبها الاول وجعلوها رقية لنفوس العامة الجاهلة حتى لا يشعروا بأنهم فقدوا ملكهم كما تشعر الخاصة التي تسهل مراقبتها والسيطرة عليها ، وليس لأمير منهم ولا سلطان

ولا نواب ان يستقل بالامر في شيء ما . ومنهم من لايسمح له
ان ينظر في ورقة ترسل اليه ولو من أقاربه الا بعد ان يقرأها
الرقيب الاجنبي السائد على بلاده أو الحامي لها ، ولا ان يجتمع
بأحد قريب ولا غريب ، الا بحضرة الرقيب ، وناهيك بتصرفهم
في الاموال والاوقاف والمساجد في بعض تلك البلاد

ليس هذا بعجيب ولا غريب فان للقوة ان تحكم في الضعف
كما تشاء . ولكن العجيب الغريب هو ماجرى عليه قبط مصر في
هذه السنين الاخيرة وما وصلوا اليه في هذا العام من استضعاف
المسلمين أشد من استضعاف الدول الكبرى لهم

أحسن المسلمون معاملة القبط من عهد الفتح الى هذا اليوم
إحساناً لم يروا هم ولا غيرهم مثله من فاتح قط حتى إنهم على
شكواهم من المسلمين في هذه الأيام يقولون بألسنتهم ويكتبون
بأيديهم أن عمال الخلفاء الراشدين ومن بعدهم قد جعلوا كل أعمال
الحكومة في أيديهم ، وانهم كانوا كذلك في عهد محمد على باشا
ومن بعده ، وان أكثرها لايزال في أيديهم . ثم إنهم الآن يدعون إنهم
مهضومو الحقوق لانهم محرومون من بعض الوظائف العالية التي
هم أحق بها وأهلها ، وان المسلمين ممتازون عليهم بها وبأمور

أخرى كتعليم الدين الاسلامي في المدارس وترك الحكومة العمل يوم الجمعة وانفاقها على المحاكم الشرعية . فيطلبون أن لا يكون للمسلمين مزية ما في الحكومة الخديوية لانها في رأيهم ليست حكومة إسلامية وإنما هي حكومة مصرية فهم أحق بها لانهم أعرق في الجنسية المصرية من سائر المصريين فما هو في أيديهم منها يجب ان يبقى لهم لأنهم أخذوه بحق وما بقي في أيدي المسلمين يجب ان يشاركوهم فيه لانهم احتكروه بغير حق. وهذا الذي بقي في أيدي المسلمين من الوظائف هو منصب المديرية ومامورية المركز

سمحت لهم الحكومة بتعليم دينهم في مدارسها وهو مالم تعمله حكومة في أوربة ولا غيرها فاذا جعلت يوم عيدهم الاسبوعي الديني (الاحد) شعارا لها في ترك العمل وجعلت منهم مديرين ومامورين مراكز عملا بهذه الحجة التي يدلون بها وهي انها ليست اسلامية فانه نخشى ان يترتب على ذلك ما نخشى مغبته وتسوء عاقبته من تعرض السلطان للدخول في ذلك باسم الخلافة ومن مطالبة المسلمين للحكومة برفع سيطرتها عن محاكمهم الشرعية وأوقافهم ومعاهدهم الدينية ومن تهييج مسلمي الهند على الحكومة الانكليزية اذا اعتقدوا انها هي التي أزالت الصبغة الدينية من حكومة

مصر التي هي سياج البلاد المقدسة ومدخلها ، ولذلك استنكر رجال الاحتلال مطالب القبط مع عطفهم الديني عليهم كما استنكرتها الحكومة

أما مسلمو مصر وهم السواد الاعظم من أهلها فكانوا غافلين عن سعي القبط وتعصبهم غير مبالين به لانهم مغرورون بكثرتهم وان كانت كثرة تشبه القلة أو تضعف عنها لتخاذلهم وانحلال الرابطة التي توحد بينهم. وهذا هو الذي اطمع القبط فظنوا انهم ينالون كل مايطلبون من جعل السيادة في هذه الحكومة خاصة لهم من دون المسلمين ، ولا أضرب لهم المثل الذي ضربه لهم بعض الناس « لا تطعم العبد الكراع ، فيطمع في الذراع » بل أقول هذا شأن الاقوياء بالاتحاد ، مع الضعفاء بالتفرق والانقسام ،

رأت القبط ان تهاجم المسلمين من أضعف جانب فيهم وهو رميهم بالتعصب الديني وبغض القبط وسائر المسيحيين وظلمهم وهضم حقوقهم واتباع خلفهم في ذلك أثر سلفهم

جردوا هذا السلاح في وجوه المسلمين فذعروا وصبروا على ما لم يتعودوا من اهانة القبط لهم جهراً بما ينشر في الجرائد فقالت القبط انهم قد ماتوا فلا خوف من مدافعتهم فانظهر وحدتنا في مطالبنا ، وقد فعلوا

ألفوا المؤتمر القبط فحضره ١١٥٠ مندوبا من القبط يحملون ١٠٥٠٠ توكيلا عن اخوانهم في القطر المصري كله وافتتح المؤتمر مطران اسيوط التي سماها بعضهم عاصمة القبط ، فأحدث هذا المؤتمر دويا في مصر أيقظ المسلمين ودعاهم الى تأليف مؤتمر مصري حقيقي للنظر في الحال الاجتماعية العامة ، وتمحيص مطالب القبط وتحسين أمور المسلمين

ما كان يخطر في بال القبط ان المسلمين يجرأون على عقد مؤتمر لهم ، ولا ان الحكومة تسمح لهم به اذا شاؤه ، فصرحوا بأن الحكومة هي التي أوحت اليهم بعقده ، وارادوا أن يخيفوا الحكومة بمثل ماأخافوا به الامة ، فانشأوا يطعنون في الوزارة ويرمونها بالتعصب الديني وتحريض المسلمين عليهم ، ويرجفون بأن «المسيحية تتعذب» ليحرضوا كل من في مصر من النصارى على المسلمين ، وحاولوا ان يحملوا نصارى السوريين على عقد مؤتمر لهم فخابوا لان القبط يصغرون عن العبث بالسوريين واستخدامهم لاهوائهم ، وأما دسائسهم في انكلترة فقد ظهرت لكل أحد ولكن لم تغن عنهم شيئا لانها مبنية على التهم الباطلة ، التي كذبتها سيرة المسلمين الهادئة الساكنة

لقد سرتني هذه الحركة القبطية لانها وسيلة لاختبار حياة المسلمين وسيكون المؤتمر المصري هو يظهر هذه الحياة ودرجتها فاذا نجح المؤتمر وانجلى عن حياة في المسلمين فلا يسوءني أن تنال القبط ما يقول بعض المعتدلين انه هو الحق الوحيد من مطالبها وهو جواز ان يكونوا رؤساء ادارة كما صاروا رؤساء للمحاكم ولغيرها من المصالح . واذا خاب الامل (لا سمح الله) في هذا المؤتمر فلا أسف على شيء آخر يفوت

كتب الناس في المسألة لانها أهم ما يكتب فيه بمصر الآن فألقيت دلوي بين الدلاء وكتبت مقالا طويلا في فصول متعددة نشرتها في المؤيد والمنار ، قصدت بها مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن كما أمر الله عز وجل ولا أحسن من بيان سنة الاجتماع في هذه المسائل والتمييز بين حقها وباطلها ليزداد الباحثون بصيرة في بحثهم ، وتنبيه المسلمين الى الاجتماع والتعاون على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ولا يضر سواهم ، وان تكون مقدمة لبيان رأيي فيما يجب ان يقوم به المؤتمر من الخدمة العامة لهذه البلاد

بلغ هذا المقال من التأثير في نفوس المسلمين فوق ما كنت أظن ، واقترح على كثير من الكبراء والدهماء ان أطبعه في رسالة على حدته فأجبت ، وها هو ذا (محمد رشيد رضا)

النبذة الاولى

مقومات الامم ومشخصاتها

انما بقاء الامم والملل بمقوّماتها التي تمتاز بها عن غيرها فاذا قصر أفرادها في التماسك والاعتصام بالمحافظة على تلك المقوّمات وما يتبعها من المشخصات زالت الأمة أو الملة بانقراض أهلها أو اندغامهم في أمة أخرى

مضت سنة الله في البشر بمحافظة كل قوم على مقوماتهم ومشخصاتهم وحرصهم عليها بقدر ارتقائهم في حياتهم الاجتماعية فالامة الحية المستقلة لا تتبع أمة أخرى ولا تقلدها في دينها ولا عاداتها ولا تقاليدها، ومثلها في ذلك كمل الافراد فالعالم المستقل لا يتقلد رأي غيره وان كان مثله أو أعلم منه وانما يعمل بما يظهر له انه الصواب لا بما يظهر لغيره

يتعصب بعض الشعوب لما هم عليه وان ثبت لهم ان المخالف لهم فيه أولى بالصواب واجدر بالاتباع كما يتعصب الانكليز لمقاييسهم ويأبون اتباع الفرنسيين وغيرهم في المقاييس العشرية التي هي خير

منها. فاذا ثبت لهم ان ماهم عليه ضار بهم، أو مقدم لغيرهم عليهم، تبدلوا به غيره بالتدريج البطيء لكيلا تتزلزل مقومات الأمة او مشخصاتها فيضعف تماسكها وتشعر بعلو غيرها عليها

كان المكونون للأمم يراعون هذه السنن فيها حتى ان رؤساء النصارى لما أرادوا فصل اتباع المصلح العظيم لليهودية (عيسى عليه السلام) من قومه اليهود تركوا من تعاليم الناموس (التوراة) ما أقره المسيح ولم ينقضه كالراحة في يوم السبت والامتناع عن عمل الدنيا فيه واستبدلوا به يوم الأحد بغير أمر من المسيح ولا من حواريه، ووضعوا لهم غير ذلك من العبادات والاعياد حتى صارت ملتهم من أبعد الملل عن اليهودية. كذلك فعل المصلح الاعظم خاتم النبيين (صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين) بما كان يأمر به من مخالفة أهل الكتاب وغيرهم في عاداتهم وتقاليدهم زائدا ذلك عما جاء به الوحي من الاصلاح في أصول دين الله وفروعه، والحكمة في ذلك تكوّن الأمة وامتيازها بما تكون به قدوة لغيرها لا تابعة مقلدة

كذلك مضت سنة الله في البشر بتقليد الضعيف للقوي وتشبهه به فيما يسهل التقليد والتشبه فيه سواء ذلك في الافراد

والأمم ، وانما السنة فيه أن يكون بالتدريج والانتقال من محقرات الامور كالأزياء والعادات الى ما فوقها حتى ينتهي بأعظم المقومات التي بها التمايز كاللغات والمذاهب والأديان ، ولولا التعارض بين داعيتي التقليد والاستقلال ، لكان أمر البشر على غير ما نعهد الآن ، فاما ان يكون كل منهم مقلدا لمن قبله فيكونون كالأنعام ، واما أن يكون كل منهم مستقلا في كل شيء فلا يكادون يشتركون في شيء يجمع بينهم ، ويرى بعض الحكماء انه يجب التأليف بين جميع البشر واتحادهم وما هذا بالذي يتم وغاية ما يرجى من الكمال أن يتعارفوا ولا يتناكروا في اختلافهم كما أرشد القرآن

كان أمر الناس في الزمان الماضي متروكا الى طبيعة الاجتماع تعمل عملها بسنن الله تعالى فيهم وهم لا يشعرون بسيرها فيساعدوها عليه أو يقاوموها فيه بالطرق العلمية، الاما كان من الحروب التي توقد نيرانها مطامع الاقوياء ، وقد اتسع نطاق علم الاجتماع في هذا العصر فصارت الأمم العالمة المتحدة تفضل قوة العلم على قوة السلاح في محاربة الأمم الجاهلة المتخاذلة ، فتسطو على مقوماتها ومشخصاتها من الدين واللغة والتقاليد والعادات

فتزلزلها وتزيل ثقتها بها بالتدريج وتزين لها أن تتبدل بها ماتخيل اليها أنه خير منه فتزيدها بذلك ضعفاً ومرضاً حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين: إما بالاستعباد وذهاب الاستقلال، واما بالاندغام والاضمحلال

هذا هو السبب في بث الافرنج دعاة دينهم وفي بنائهم المدارس في البلاد الاسلامية وغيرها وفي اتخاذهم الوسائل الى بث لغاتهم وآرائهم وعاداتهم في مدارسنا حتى صارت نفوس نابتتنا في البلاد المقلدة لمدنيتهم في تصرف الاساتذة من الافرنج والمتفرنجين ينقشون فيها من الافكار ويطبعون فيها من الملكات ما يغير نظام الاجتماع في بلادنا ويجذب أموالها وميولها اليهم حتى يكون أهلها عالة عليهم أو خدما لهم في كل شيء الى ان تصير ملكا خالصاً لهم في الحقيقة دون الاسم أو في الامرين معا، وقد صرح لورد كرومر في بعض تقاريره عن مصر بأن الغرض من مدارس الحكومة فيها فرنجة المصريين، فهل اعتبر بهذا القول أحد من القارئين، أو نبه عليه أحد من السياسيين؟ وهو الذي ترتب عليه تقليد حكوماتنا لأوربة بغير اجتهاد ولا استقلال

لاأقول ماقلته ذما في الافرنج بل مدحاً لهم فان هذه

الطريقة هي أرقى ماوصل اليه البشر في الفتح والاستعمار ، واستيلاء الاقوياء على الضعفاء الذي هو من سنن الاجتماع ، فلهم في شرع العمران والفلسفة ان يجدوا ويجتهدا في جذب جميع الامم الى دينهم ولغاتهم وعاداتهم ، وفي تسخيرها لخدمتهم ومنافعهم ، وانما يمكن أن تلومهم الفلسفة أنهم لايرضون أن يساووا هؤلاء المجذوبين بأنفسهم ، ولا أن يرقوهم الى درجتهم ، فالشرقي عندهم لا يمكن أن يساوي الغربي وان اتبعه هذا في دينه ولغته وعاداته . والاسلام يفضلهم في هذه المسألة فهو قد سبقهم الى تلك الطريقة السلمية في جذب الناس اليه مع تقرير المساواة التامة بين المنجذبين اليه والداخلين فيه ، لافرق بين الملك العظيم (كجبلة بن الايهم) والصعلوك الفقير ، ولا بين السيد الشريف الفاتح (كخالد بن الوليد) وبين العتيق الاسود (كبلال الحبشي) بل الاسلام يساوي بين المسلم وغير المسلم في الحقوق كما ساوى أعدل امرائه (عمر بن الخطاب) بين أكبر سيد فيه (علي بن ابي طالب) وبين رجل من آحاد اليهود . والانكليزي لا يساوي الهندي بنفسه ولا الفرنسي يساوي الجزائري بنفسه ، بل ميزوا أنفسهم علينا في عقر ديارنا وأرقى حكوماتنا

الافرنج أرقى منا في العلم والمدنية فنحن في حاجة الى أخذ الفنون والصناعات منهم بالاجتهاد والاستقلال مع المحافظة على مقوماتنا الملية والقومية التي تحول دون فنائنا فيهم . ولكننا لم نأخذ منهم شيئاً مما نحتاج اليه بالشرط الذي بيناه ، وانما سرى الينا ماسري منهم بالتقليد لا بالاستقلال ، لذلك كان سببا لضعف استقلالنا أو ذهابه ، لا لرسوخه وثباته ، اللهم الا مااقتبسته دولتنا العثمانية من فنون الحرب فلها استقلال واجتهاد مافيه ، لعلمها بتوقف حياتها عليه ، ولم يكن استقلالها فيه تاماً لانها لاتزال عالة عليهم حتى في تعليم الجند فمابالك بصنع الاسلحة والآلات ، والبوارج المدرعات ، ولو تواطأت دول أوربا على منع بيع السلاح وآلات الحرب للدولة لقضين على قوتها بغير مقارعة ولا مكافحة

من آية استقلال الامة فيما تأخذه من غيرها ، وما تدعه من عاداته التي هي عرضة لها ، أن يكون ذلك رأي زعمائها وعمل جمعياتها ، باسم الامة ولمصلحتها العامة ، ولسنا معاشر المسلمين على شيء من هذا الاستقلال بل نحن مقلدون للافرنج حتى فيما نحسب اننا نهرب به من سيطرتهم كدعوة الوطنية التي كان الخسار فيها علينا والربح لغيرنا. ومن الشواهد المحسوسة على ماذكرنا من

المقدمات مايسمونه اليوم بالمسألة القبطية في مصر

× سكان القطر المصري اثنا عشر مليونا منهم احدعشر مليونا ونيف من المسلمين ويزيد عدد القبط فيه عن نصف مليون والباقي من سائر الشعوب والملل ودخل بعض القبط في حماية الدول الاجنبية فلم يعد لهم من الحقوق ولاعليهم من التكاليف مثل ماللوطنيين وعليهم ، والمشهور أن نسبة القبط الى المسلمين في هذا القطر هي نسبة ستة الى مئة

في هذه الفئة القليلة من الحياة الملية ماليس في تلك الفئة الكثيرة العدد ، صاحبة الحق في الملك والسؤدد ، لان الحاكم العام منهم ، وهو صاحب التصرف المطلق في ادارة بلادهم ، التابعة في السياسة والسلطة لخليفتهم ، ولغة الحكومة والامة هي لغة دينهم ، ولم تغن عنهم كثرتهم ، ولا سلطتهم ولا شكل حكومتهم ولا تبعيتهم لخليفتهم من شيء لما قامت تنازعهم مافي أيديهم فتنزعه شيئا بعد شيء بالسير على سنة السكون ونظام الاجتماع . فما أجدر القبط في سيرتهم هذه بالفخر والاعجاب

ليس لمسلمي مصر جمعيات دينية محضة ولا مجلس ملي

هم مسلمون ، ليس لهم جرائد ولا مجلات دينية محضة كجرائد غيرهم ومجلاتهم ، لا يوجد فيهم أفراد ولا جماعات ينظرون في أمورهم الاجتماعية ونسبتهم فيها الى غيرهم ويعملون عملا ما لمسابقة غيرهم أو مزاحمته في أعمال الحكومة أو الاعمال المالية أو الادبية ، الجرائد السياسية لغير المسلمين تروج عند المسلمين وجرائد المسلمين لا تروج عند القبط ، والمسلمون يعلمون ذلك ولا تحركهم نعرة عصبية ، ولا غيرة ملية ، وما ذلك إلا من بقايا ماورثوا من أخلاق دينهم من صفاء القلب والتساهل

أما القبط فانهم يعملون كل شيء للقبط باسم القبط ويعبرون عن أنفسهم بالامة القبطية ويسمون البلاد المصرية بلادهم وبلاد آبائهم وأجدادهم ولهم مجلس ملي وجمعيات وأندية وجرائد ومجلات قبطية محضة ويطالبون مايطلبون من المناصب والاعمال في الحكومة للقبط باسم القبط على انها حق للقبط ، من حيث انهم قبط ، ويتعاونون في جميع مصالح الحكومة فيفضل القبطي أخاه القبطي على غيره لا تأخذه في ذلك لومة لائم ، ولا شيء عند المسلمين من هذا التعاون والتكافل ، على ان البلاد بلادهم

وليس للقبط مزية على غيرهم من النصارى واليهود الا بتمييز المسلمين لهم ثم انهم يتهمون المسلمين بالتعصب الذميم والتحامل وهضم حقوقهم فرحى للقبط المتعاونين، ويا حسرة على المسلمين المتخاذلين

ان معظم أعمال الحكومة المصرية ومصالحها في أيدي القبط ولا يمتاز المسلمون عليهم الا بقليل من المناصب الرئيسية التي لاحظ لهم منها غير الفخفخة والتحلي بكساوى التشريف والاوسمة، فالمديرون على قلتهم من المسلمين وكثيرا ما يكونون من غير الاكفاء المختبرين، وينقلون من مديرية الى أخرى، ورؤساء الكتاب وأكثر العمال الذين تحت أيديهم من القبط ثابتون في أعمالهم عارفون بقوادمها وخوافيها متكافلون في الاستئثار بها ولذلك يكون أكثر المديرين آلات في أيديهم لا يقدر أعلاهم كفاءة أن يخالف رئيس الكتاب القبطي في شيء يريده لان العمال في المديرية وأكثرهم من القبط يتعصبون حينئذ على المدير ويعرقلون أعماله ويوقعونه في المشكلات مع نظارة الداخلية أو نظارة المالية وينصرهم اخوانهم في النظارة عليه لانهم كلهم يد على من عداهم. وعلى هذا القياس تناصرهم في القضاء وسائر المصالح. ثم انهم يزعمون مع هذا كله انهم مظلومون مهضومون،

وان المسلمين هم المتعصبون الظالمون ، فرحى للقبط المتحدين ، وياحسرة على المسلمين المتفرقين

هذا ما كانت عليه الفئة الكثيرة بالعدد القليلة بالتخاذل والغفلة ، والفئة القليلة الكثيرة بالتعاون والوحدة ، وهذا هو الذي أطمع القبط في جعل حكومة مصر قبطية محضة في يوم من الايام ، وكان من حسن حظهم أن فتن الباحثون في الامور العامة من المسلمين بالسياسة ، وجعلوا محيراهم فيها دعوة الوطنية وصاروا يلهجون بهذه الكلمات : اخواننا القبط ، نحن مصريون قبل كل شيء ، لادين في الوطنية ، إنما الدين في المساجد والكنائس . وبلغ من لهجهم بالوطنية وإخلاصهم فيها أن صار بعضهم يقول لا فرق عندي بين أن يكون الخديوي مسلماً أو قبطيا ، وانما المهم عندي أن يكون مصريا ، وقد سمعت مثل هذه الكلمة من بعض المدرسين في مدارس الحكومة العالية ، فقلت له وهل تظن فيمن سمحت لهم عاطفتك الوطنية بعرش الامارة أن يسمحوا لك بوظيفة (قومسير) في مصلحة سكة الحديد؟؟ أما وسر العقل والبصيرة انهم لايسمحون بذلك مختارين ، وماهم على ذلك عندي بملومين ، فرحى للقبط المتعصبين ، وياحسرة على المسلمين المتساهلين .

سبق لي مدح القبط فى المنار غير مرة وتفضيلهم على المسلمين بالتعاون والتناصر والرابطة الملية ، وان كانوا دون المسلمين في الكفاءة الشخصية، الا التملق الذي يستميلون به الرؤساء، واتباعهم في ذلك طريقة العقل والحزم وسنن الاجتماع التي أشرنا اليها في فاتحة القول ، بترك المسلمين بين عامل خامل ، وذكي يائس ، ونشيط مغرور شغله الكلام فى مقاومة الاحتلال عن كل عمل تقوى به الامة في وجه الاحتلال (وهو عندي محصور في التربية الملية والاعمال الاقتصادية كما بينت ذلك مرارا) وتوجيه همتهم في هذه الفرصة الى التربية القبطية والتعليم، وتنمية الثروة، والتغلغل في أعمال الحكومة ، ولكنني أنكرت عليهم في هاتين السنتين سيرتهم فرأيتهم قد تركوا ما عهدت فيهم من الهدوء والسكينة ، واللين والتملق ، وطفقوا يطعنون في جرائدهم طعناً صريحاً في سلف المسلمين وخلفهم ، ودينهم وآدابهم ولغتهم ، فعجبت من هذه الطريقة الجديدة ، التي يخشى ان تعلم المسلمين التعصب والمقاومة ، فتكون كرة القبط هي الخاسرة، وصرت أقول في نفسي ما عدا مما بدا ، واقدح زناد الفكر لعلي أجد على النار هدى لو صبروا على جدهم وتعاونهم ، وتركوا المسلمين في غفلتهم

وتخاذلهم ، لنالوا كل ما أملوا ، ولساعدوهم باسم الوطنية على ما أرادوا . يريدون أن يثبوا على الوظائف الادارية العالية كما وثبوا في القضاء يريدون أن تترك الحكومة العمل في يوم الاحد . يريدون أن تدرس الديانة المسيحية في الكتاتيب والمدارس كلها . يريدون أن لا يكون للمسلمين في هذه الحكومة مزية ما . كل هذا كان سهلا اذا رضوا بسنة التدريج والمسلمون أنفسهم يساعدونهم على كل ذلك حتى اذا نالوه سهل عليهم أن يجعلوا الحكومة وقفا عليهم ويمنعوا المسلمين منها ألبتة

أليس بعض كتاب المسلمين يهينون في جرائد الاحزاب القوية : كل من يرتقي من المسلمين الى منصب عال في الحكومة ويعدونه خائنا لوطنه ، مشايعا للانكليز فيه ، بقدر ما يعظم القبط كبار الموظفين منهم ، ويستعينون بهم على سعة نفوذهم في الحكومة ؟ أليس هذا تمهيداً لنيل القبط هذه البقية القليلة من الوظائف ؟ ألم يساعدهم الوزراء المسلمون على ما طلبوا من تعليم دينهم في مدارس الحكومة (وهو مالا نظير له في حكومات الارض) ؟ بلى وكذلك يساعدهم المسلمون في فرصة أخرى على كل ما يطلبون . واذا هم نالوا بقية الوظائف الرئيسة وتمكنوا

بها من جعل تسعة أعشار الموظفين منهم يكون لهم الوجه الوجيه
في طلب ابطال الاعمال يوم الاحد دون يوم الجمعة ولا يجرأ
مسلم يومئذ أن يفتح فما ، أو يحرك قلما ، خوفا من تهمة التعصب
الديني من جهة ، ومن تحامل الحكومة القبطية عليه من جهة أخرى

هذا ما أقوله معتقداً ولا شك فيه عندي ، ولذلك عجبت
كيف خانهم الصبر ، وفاتهم ادراك هذا الامر ، وحرت في تعليل
هذا المسلك الجديد ، حتى كان مما خطر في بالي انهم ربما كانوا
يريدون إحراج المسلمين لاحداث فتنة في البلاد تكون وسيلة
لاعلان انكلترا الحماية عليها أو ضمها الى مستعمراتها . ولم أصدق
ما يقوله بعض الناس من انهم أحسوا من المسلمين ضعفا
ووجدوا فرصة لاخراج أضغانهم ، وشفاء غليل حقدهم ، ففعلوا
ذلك لمجرد اللذة بايذاء من كانوا يستثقلون اسم سيادتهم عليهم ،
لا أرى هذا القول ولا ذلك الخاطر بالمعقول ، وانما هناك سبب
آخر نشرحه في النبذة التالية . ثم نبين مسألة يوم الراحة الاسبوعية
في الاديان الثلاثة وما ينبغي أن يكون الحال عليه في مصر
وشكل هذه الحكومة الرسمي وهل للقبط حق فيها أم لا

* *

النبذة الثانية

عجبنا من الحركة القبطية الاخيرة وحق لنا العجب ، وأن نبحث عن العلة والسبب ، شرذمة قليلة في أمة كبيرة تأكل من ثمراتها زهاء ثلاثين من المئة وهي زهاء خمسة أو ستة في المئة ثم تتصاعد زفراتها ، وتتعالى نبآتها وهيعاتها : قد ظلمنا المسلمون في وطننا ، وهضموا حقوقنا لاجل ديننا ، وتستنجد جرائد أوربة وقسوسها ليلزموا الدولة الانكليزية أن تنصر الفئة القليلة لانها مسيحية ، على الفئة الكثيرة الاسلامية ، أليس خطبها من أهم ما يبحث عنه ، ويبين وجه الصواب فيه ؟ ليعلم لماذا لم ترض بما كانت تأكله من حقوق غيرها بالهدو والسلام ، حتى اختارت هذا اللدد في الخصام .

بطرس باشا غالي ، شادته بطرس باشا غالي

بلى كان لهذه الفئة زعيم عظيم يأخذ بحجزها ، ويمسكها اذا هبت رياح الطيش فهمت أن تطير بها ، ويحل جميع مشاكلها ، ويقودها بالحكمة الى امانيها ومقاصدها ، مراعيا سنن الاجتماع

التي اشرنا اليها في صدر النبذة الاولى من هـذا المقال ، فلما اخترم ذلك الزعيم العظيم لم يكن له خلف في عقـله وحكمته ، ورويته وحنكته ، فتصدى للزعامة مثل جندي ابراهيم وتادرس شنودة واخنوخ فانوس ممن لابضاعة لهم الا شقشقة اللسان ، والقدرة على اثارة الاضغان ، وكانت العاصفة بفقد الزعيم شديدة فطارت بالقوم ، ولم تقع بهم على ما يستقرون عليه الى اليوم .

ذلك الزعيم هو بطرس باشا غالي الذي كان صخرة القبط التي ترتد عنها قرون الوعول واهيـة ، وتبنى عليها كنيسة مصالحهم فتكون ثابتة راسخة ، وكان أكبر ما أعده من آيات رقيهم ، معرفتهم قيمة زعيمهم ، وخضوعهم لزعامته ، واعلاؤهم لكلمته .

بلغ من دهاء هذا الزعيم القبطي أن جمع بين الضدين ، ووضع نفسه موضع الثقة من السلطتين ، فكان - والامير والعميد راضيان عنه - يقدم على ماشاء غيرهياب ولاوكل ، فاذا أراد أمضى واذا قال فعل .

كانت سهام متحمسي الوطنية من المسلمين تسدد الى المسلمين من نظار الحكومة وكبار رجالها دونه على علمهم بعصبيته

ص ٩ من كتاب الاقباط في القرن ...

لطائفته وتقديمه اياهم على المسلمين منذ كان وكيلا لنظارة الحقانية الى أن صار رئيساً للنظار

وهو الذي أمضى وفاق السودان بعد ان امتنع مصطفى باشا فهمي رئيس النظار يومئذ ان يقرره في المجلس وقال انه حق الدولة العلية دوننا ، وهو الذي رأس محكمة دنشواي نائباً عن ناظر الحقانية . ولم يحدث في مصر منذ كان الاحتلال الى اليوم ما آلم المسلمين وهيج قلوبهم مثل هذين الامرين ولم تكتب أقلامهم أشد مما كتبته فيهما

وكان من عجائب سيرة بطرس باشا أنه سلم من أسنة أقلامهم، وأسلات ألسنتهم، فبقي عرضه وافرا لم يكلم، وشرفه مصونا لم يثلم، على حين وزراء المسلمين وكبراؤهم يفرى أديمهم، وتؤكل بالغيبة والغميزة لحومهم

يحفظ المسلمون على بطرس باشا أموراً كثيرة في الاهتمام بطائفته وتقديمها وقد سألت مرة صديقاً لي من كبراء الانكليز الذين كانوا موظفين في الحكومة المصرية أيتعصب بطرس باشا للقبط ويؤثرهم على المسلمين كما يقال ؟ قال نعم . قلت أيفعل ذلك غيره من النظار المسلمين والرؤساء فيقدمون المسلم على غيره ؟ قال لا ولكن أيهم أحسن ؟؟

لما كانت واقعة المحاكم الشرعية وأرادت الحكومة أن تجعل في المحكمة الشرعية العليا عضوين من مستشاري محكمة الاستئناف الاهلية هاج المسلمون في مصر وحملوا على الحكومة حملة منكرة في الجرائد واجتمع علماء الازهر أول مرة للانكار على الحكومة ، وكان من المتحمسين المشهرين بالحكومة من يتهم الاستاذ الامام بالرضى بالمشروع وتأييد الحكومة فيه ، فسألته عن ذلك فعلمت منه انه سعى في مقاومته سراً جهد طاقته لانه يضر ولا يفيد المطلوب وقال ان الواضع الحقيقي له هو بطرس باشا لا ناظر الحقانية الذي يلعنه الناس ومن مقاصد بطرس باشا فيه التمهيد لالغاء المحاكم الشرعية وجعل الحكم في الامور الشخصية من خصائص المحاكم الاهلية لان طلبة الحقوق يتعلمون الفقه الاسلامي فهو يريد ان يتعود المسلمون بالتدريج حكم لابسي الطرابيش في القضايا الشرعية ، حتى لا يبقى للمسلمين في الحكومة المصرية شيء من المشخصات الملية . قاوم الشيخ الباشا في ذلك بمثل سعيه اليه وكان كل منهما صاحبا للآخر عارفا لقيمته

على ذلك كله كان بطرس باشا آمنا في سربه ، عزيزا في قومه

محترما من المسلمين ، يزوره حتى كبار علمائهم ورجال الدين فيهم ، ولم يعلم أحد ماخبأه له القدر ، حتى حمّ الامر وقضي الأجل ،

فعلة ابراهيم الورداني ببطرس

بينا فيما سبق أن الافرنج يعنون بفرنجة غيرهم ليجذبوهم اليهم ، وان الضعيف يقلد القوي فيما يسهل التقليد فيه أولا ثم في غيره ، وان نغمة الوطنية في مصر هي من هذا الباب ، وان المتحمسين فيها صاروا لايفرقون بين الوطنيين لاجل الدين ، حتى كان منهم من يرضى أن يكون أمير البلاد قبطيا ، وكان من هؤلاء الوطنيين المتفرنجين شاب عصبي المزاج اسمه ابراهيم الورداني تعلم في أوربة فكان من حظه في التفرنج قراءة أخبار الفوضويين الذين يجعلون أنفسهم فدية لوطنهم ، ولما صار بطرس باشا رئيساً للنظار وكان اهم ماحدث في وزارته مشروع تجديد امتياز قنال السويس وقامت الجرائد الوطنية تشرح ضرر المشروع وغبن مصر فيه ، وفائدة الشركة منه ، اندفع ابراهيم الورداني بما اقتبسه من تعاليم أوربة وتربيتها — لا الازهر الذي ربما كان لم يدخله قط — ورصد خروج بطرس باشا من نظارته وأطلق

عليه الرصاص جهرا فأصابه ولم يلبث أن قضى نحبه ، ولم يفر الجاني ولا أنكر بل صرح بانه تعمد قتله لانه اعتقد أنه جان على وطنه بوفاق السودان ومحكمة دنشواي المخصوصة من قبل ، وانه يريد أن يجني عليه الآن بمشروع قنال السويس .

فعل الورداني فعلته فحكم عليه بالاعدام فاعدم شنقاً ، كبر الخطب على القبط وحق لهم ذلك ، ولكن المسلمين لم يقصروا في مشاركتهم في كل شيء من تشنيع الجناية ، وتشييع الجنازة ، وتأبين الفقيد ورثائه ، بما لم يرثوا ولم يؤبنوا بمثله وزيرا مسلماً من قبله ، اشترك في ذلك أمراؤهم وعلماؤهم ، وكتابهم وشعراؤهم ، دع رجال الحكومة من جميع الطبقات فقد كان الفقيد رئيساً لهم

كل ذلك لم يرض القبط بل أرادوا أن يأخذوا مسلمي القطر كافة بذنب الورداني فطفقوا يكتبون ويستكتبون بعض المتعصبين من المشاركين لهم في الدين باتهام المسلمين بالتعصب الديني وجعل الجناية اعتداء من الدين الاسلامي على الدين المسيحي وأهله لاعتقادهم ان هذا هو محل الضعف من المسلمين ، وموضع التأثير في تهييج الانكليز وسائر الاوربيين عليهم ، لاتفاق الجميع على أن لا يتركوا للمسلمين شيئاً من المقومات ولا من

المشخصات الملية ، لما بيناه في فاتحة النبذة الاولى من الاسباب الاجتماعية

قابل المسلمون كل هذا العدوان بالحلم فاستضعفهم القبط وأسرفوا في الطعن والقدح فيهم في جرائدهم، وأوفدوا الى انكلترة من ينوب عنهم في اقناع الجرائد الانكليزية والنواب الانكليز ورجال الدين والحكومة في لوندرة بأن القبط مظلومون مغبونون في مصر لاجل دينهم ، ووالوا ذلك وأدمنوه سنة كاملة احتفلوا في خاتمها بذكرى فقيدهم العظيم وكان يظن ان المسلمين لا يشاركونهم في هذا الاحتفال بعد تلك الغارة الشعواء في جريدتي الوطن ومصر على الكتب العربية والآداب العربية والديانة العربية (الاسلامية) ولكن المسلمين كذبوا الظن فهرع علماؤهم وكبراؤهم الى مدفن الفقيد وكنيسة طائفته وابنوه بالنثر والنظم وأطروه أشد الاطراء ، فكان من اللائق المعقول أن تقف القبط عند هذا الحد من الظفر ، وتواتي طلاب الصلح من المسلمين الذين اعتذروا عما كتبه القبط من سوء القول بأنه رأي أفراد منهم لا يؤاخذونهم بشذوذهم فيه

المؤتمر القبطي وتأثيره

لو كان للقبط زعيم عاقل كذلك الزعيم الذي فقدوه ، لما سمح لهم بذلك التقحم الذي تقحموه ، ولو كان لهم زعيم له نصف عقله وحكمته ، لاوقفهم عندالحد الذي انتهى به الحول بعد مصرعه ، عملا بتحديد لبيدلمدة الحزن والرثاء - ولكنهم بعد انتهاء الحول وبعد تلك المجاملة من المسلمين في الاحتفال التي عدها المتزاحمون على الزعامة فيهم ضعفاومهانة ، انبروا الى تصديق أقوال جرائدهم بالعمل فألفوا مؤتمرا قبطيا عاما في أسيوط التي سماها بعضهم (عاصمة القبط) لاثبات الغبن الذي أصابهم وبيان المطالب القبطية التي يريدون بها مساواة المسلمين !! وأولها أن تسمح الحكومة للموظفين منهم بترك العمل يوم الاحد وتسمح للتلاميذ منهم في مدارسها بترك الدراسة فيه أيضاً لان دينهم يحرم عليهم العمل فيه . وقد تقدمت الاشارة الى غير ذلك من مطالبهم التي يسمونها حقوقاً لهم وليس من غرضنا شرح ذلك وبيان حقه من باطله بالتفصيل ، وانما مرادنا بيان هذه المسألة الاجتماعية بالاجمال

توالى الوخز والطعن على جسم الشعب الاسلامي مدة سنة كاملة فلم يكد يشعر به ولا استيقظ من منامه ، فلما سمع صيحة المؤتمر القبطي الشديدة المؤلفة من أصوات الالوف من الشاكين ، هب من نومه مذعورا ، فرأى أن الجسم الصغير الذي كان يعده عضواً منه ، قد انفصل وصار حياً بنفسه ، ممتازاً بمقومات ومشخصات خاصة به ، سماها « قبطية » وسمى ما بقي للجسم الكبير من المقومات والمشخصات « أسلامية » وهو يريد أن ينتزعها كلها منه ، ويجعله تابعاً له ، عملا بقاعدة « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة » فعز عليه ذلك واستعد للدفاع عن نفسه

نعم رأى المسلمون أن البلاد بلادهم ، والحكومة حكومتهم ، والشريعة شريعتهم ، وان غيرهم لم يكن له في مصر وجود حتى يكون له حقوق يؤبه لها ، لان هؤلاء الأغيار كالنقطة السوداء في الثور الابيض أو النقطة البيضاء في الثور الاسود ، ولكنهم بتساهلهم واهمالهم قد شاركوا هؤلاء الاغيار في حكومتهم وفي جميع مصالحهم العامة والخاصة حتى صارت ادارة أملاكهم وعقاراتهم وأوقافهم الاهليـة كلها بايدي أولئك الاغيار ثم أرادهم أولئك الاغيار على أن لا يذكروا اسم الاسلام

والاسلامية في أمور الحكومة ولا غيرها من المصالح العامة لان ذلك ينافي المدنية العصرية فرضوا ، وصاروا يترنمون باسم الوطنية والمصرية ويقولون نحن مصريون قبل كل شيء ويعدون المسلم غير المصري دخيلا بينهم

بل رأوا أنهم قد انجذبوا الى القبطية وصاروا يفخرون في جرائدهم وخطبهم وأشعارهم بفرعون الذي لعنه الله تعالى على لسان موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين وأخبر تعالى انه استخف قومه فأطاعوه واستعبدهم واستذلهم . وكان من أغرب ماوقع في هذا الباب ان شاعراً مسلماً نظم قصيدة في عيد السنة الهجرية وأنشدها في احتفال عظيم فافتخر فيها بانه هو وقومه من آل فرعون ولم يفتخر بالنسبة الى صاحب الهجرة الشريفة ولا بآله وأصحابه الذين يفتخر بهم الوجود صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين . فكيف تجمعون أيها المفتخرون بآل فرعون بين هذا الفخر وبين قول ربكم فيهم « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » ؟؟

بل رأى هؤلاء الذين استيقظوا من المسلمين ان مقومات حياتهم المعنوية التي هم بها أمة قد تزلزل بعضها وزال بعض، فصارت السلطة التشريعية في بلادهم بأيدي الاغيار والنفوذ الادبي في أيديهم، حتى ان مجموع جرائدهم أكبر تأثيراً في الامور العامة من جرائد المسلمين، وكذلك النفوذ السياسي والمالي، فثروة المسلمين كل يوم في نقصان كما يعلم كل يوم من اعلانات الحجز وبيع الاملاك المرهونة، رأوا هذا وأمثاله مما لا محل لاحصائه هنا فعلموا أن الذي أطمع هذه الشرذمة من القبط فيهم ليس بالشيء اليسير وانما هو انحلال جميع روابطهم، وزلزال أو زوال جميع مقوماتهم ومشخصاتهم، حتى انه لم يعد أحد منهم يجسر على أن يقول حكومة اسلامية أو مصلحة اسلامية. وتذكر العالمون بسنن الاجتماع ماذكرناه من القواعد في فاتحة النبذة الماضية فعلموا أنهم صاروا عرضة للعدم والانقراض، أو الاندغام في القبط، كما اندغم القبط فيهم من قبل. بل رأوا ان القبط قد غلوا وأسرفوا في الطمع فيهم حتى لم يرضوا بما كانوا سائرين اليه من الفناء فيهم باسم مصريين، وأبوا إلا أن يكون لهم كل شيء بلقب قبط. والامم تهم في طور الضعف بالالقاب

والاسماء مالا تهتم بالمعاني ، فقد يمرق المسلم أو النصراني من دينه بالفعل ويبقى محافظاً على الاسم . لذلك حكمنا بأن القبط قد غلوا وأسرفوا في حركتهم الاخيرة، وانهم لو صبروا لنالوا في غفلة المسلمين وتخاذلهم كل مايؤملون ، وان سبب ذلك هو فقد الزعيم واعواز خلف له . فهذه الحركة لايعقل أن تكون مؤدية الى المطلوب الا اذا كانت مبنية على وعد قاطع من السلطة الانكليزية الفعالة وهو مايظنه بعض الناس وان قال فيهم العميد وقالوا فيه مايدل على خلاف ذلك . وأما مساعدة قسوس الانكليز والامريكان ، فليست كافية اذا استيقظ المسلمون وعارضوا بالحكمة والعقل

مطالب القبط كلها دينية

يقول بعض المموهين ان هذه الحركة القبطية ليست دينية بل هي طائفية جنسية ، يختلبون المسلمين بهذا ، والمسلمون يردون عليهم من كلامهم « من فمك أدينك » فانهم يقولون ان السواد الاعظم من المصريين قبط فما الذي تمتاز به هذه الخمسة أو الستة من المئة على الباقي وأكثره من القبط كما يقولون ؟ هل

هنالك غير الدين ، ألم يصرحوا بأنه هو علة حرمانهم مما يطلبون ، ألم يحرضوا قسوس انكلترة وجرائدها ويطلبوا نجدتها باسم الدين ؟ ألم يكن أول مطالبهم ترك أعمال الحكومة في يوم الاحد عملا بالدين ؟ ؟ ؟ الا انه من سوء الحظ أو حسنه ان كان القبط ليس لهم لغة واذاً لحاربوا المسلمين بلغتهم وكانوا بحزمهم ومساعدة الافرنج وغيرهم هم الغالبين ، ولم يكن لاحد عذر في كلمة اسلام أو مسلمين ،

اذا كانت القبطية جنسية للقبط المسيحيين خاصة ، فأجدر بالاسلام ان يكون جنسية للمسلمين عامة ، فان المسيحية قد فصلت الحكومة من الدين كما يقولون وأمرت أن يعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، والاسلام ذو شريعة وسياسة فما بال الذين يأمرهم دينهم بالخضوع لكل حاكم وان كان وثنياً كقيصر الروم في زمن المسيح عليه السلام قد أصيبوا بهذا الشره في السياسة فلا يتبعون حاكم مصر المسلم في بطالة يوم الجمعة دون يوم الاحد ؟ وما بال المسلمين قد أجابوا دعوة غيرهم فرضي حاكمهم ومحكومهم بأمور كثيرة مخالفة للشريعة في حكومتهم ؟

اذا كان القبط لا يشتغلون يوم الاحد في حكومة الحاج

عباس حلمي المسلم فليتركوها ويستغنوا عنها تنسكا وتعبداً ، والا فالمسلمون أجدر منهم بطلب جعل كل شيء في هذه الحكومة موافقاً لدينهم، لان الحاكم العام منهم ، ولان أكثر الاحكام تقع عليهم ، لانهم أكثر من تسعين في المئة من الامة ، فلهم أن يقولوا إننا لانخضع لحكم يحرم علينا وجداننا الخضوع له ، ولماذا ينكر الاغيار عليهم ذلك ويسمونه تعصباً ، وأنا أولئك الاغيار هم المتعصبون الذين يفتاتون على أمة مسلمة حاكمها العام مسلم ولا يسمحون لها أن توفق بين دينها وحكومتها

شكل حكومة مصر

يقول بعضهم ان هذه حكومتنا وحكومة آبائنا واجدادنا ، ويقول بعض آخر ان لنا حق مساواة المسلمين فيها . والصواب ان الحكومة ليست حكومتهم وانه لاحق لهم فيها ألبتة ولا ولغيرهم، ولماذا ؟ ان هذه البلاد عثمانية سيدها الحقيقي سلطان المسلمين وخليفتهم وقد فوض أمر ادارتها الى محمد علي باشا وذريته على قاعدة مخصوصة اعترفت بها دول أوربا الكبري وهي كما قال اللورد كرومر لم تكن محل خلاف ولا نزاع قط .

وقد كان يكتب على أوراق الحكومة « الحكومة المصرية » وأخيرا صار يطبع عليها بالعربية « الحكومة الخديوية » نسبة الى شخص الخديوي وبالانكليزية حروف معناها « في خدمة سموه » فهذه الحكومة اذاً شخصية تابعة لشخص الخديو ليس لاحد من رعيته عليه حق فيها ، والمسلمون هم الذين قاموا يطلبون منه أن يمنح البلاد الدستور الذي يجعل للامة حق الشركة معه في حكم البلاد والقبط لم تطلب ذلك ، فكل ماناله القبط من الوظائف الكثيرة هي فضل واحسان من أمير مصر المسلم المتساهل ولم يكن مؤديا لحقوق واجبة عليه فيه

وأما المسلمون فاذا لم يكن لهم حقوق عليه بحسب شكل الحكومة الشخصي الذي أقرته الدول الكبرى فيمكن أن يقال ان لهم أن يطالبوه بحقوق يوجبها عليه دينه فيكون الرجاء في اجابتها منوطاً باعتقاده ووجدانه

هذا هو الحق الذي يزهق به كل باطل وسنبين في النبذة الثالثة ماينبغي أن يكون عليه الامر في مصر من السلام والتساهل والاتفاق بين جميع المقيمين فيها

***

النبذة الثالثة

الاسلام دين وجنسية

الاسلام دين وجنسية اجتماعية وسياسية للمسلمين ، هذا هو الواقع ـ وان كرهه أقوام يودون أن يكون ديناً فقط لا رابطة بين أهله في الامور السياسية ولا الاجتماعية لما لاولئك الاقوام من المصلحة في ذلك ـ وجنسيته واسعة تشمل المنافقين الذين يظهرون الاسلام ، ويسرون الكفر والالحاد ، وتتسع لكل من يرضى بحكمه الذي هو رابطته السياسية فيجيز استخدامهم في أكثر مصالح حكومته ، وقد ارتقى فيها غير المسلمين الى منصب الوزارة في دوله العزيزة القوية التي لم يكن في الارض من يقف في وجه قوتها كأبي اسحق الصابئ في الدولة العباسية. فمثل شريعته في ذلك كمثل قوانين دولة النمسة مثلا كل منهما جنسية سياسية يخضع لها شعوب مختلفون في اللغات والمذاهب والاديان . ولكن بينهما فروقاً أهمها ان الفئة الغالبة في الجنسية

الاسلامية السياسية وهي التي تدين بالاسلام تعتقد ان أصول شريعتها وبعض فروعها منزلة من عند الله وبعضها الآخر من اجتهاد الناس .

لا يضر من يشارك المسلمين في الخضوع لشريعتهم أن كانوا يدينون الله بهذا الخضوع وهو لا يدين الله به ، فان حقوقه على المسلمين المكفولة بها تكون حينئذ مضمونة بقوة الحكومة في الظاهر وقوة الاعتقاد في النفس . وحقوقهم عليه لا تكون مضمونة الا في الظاهر فقط . فالمسلم المتدين لا يأكل حق غيره وان أمن عقاب الحكومة ، وغير المسلم قد يأكل حق المسلم المحكوم به اذا أمن العقاب ، لان وجدانه لا يعارضه في ذلك اذا اعتقد ان الحكم لا يجب الخضوع له

وتمتاز هذه الشريعة على جميع الشرائع والقوانين بأنها تخير من لا يدينون بها بين التحاكم الى أهلها ان رضوا بذلك وبين التحاكم الى أهل دينهم ، فهي باحترامها الحرية لا تكره أحدا على عقيدتها وأعمالها الدينية ولا على أحكامها الشخصية ولا المدنية

حال المسلمين مع أوربة

غلب على المسلمين الجهل بحقيقة الاسلام من حيث هو دين

ومن حيث هو جنسية حتى رضوا بحكم الجاهلين والمارقين منهم فارتخت روابطهم كلها فسهل على ساسة أوربة الافتيات عليهم والنفث اللطيف في بقايا العقد التي تربط بعضهم ببعض وتنكيث قوى حبلهم من غير جلبة ولا ضوضاء كجلبة المؤتمر القبطي ، والجرائد القبطية .

ذلك بأنها فتحت اقفال قلوبهم وأفكارهم ، وزينت لهم آدابا غير آدابهم ، وشرائع غير شريعتهم ، وجنسيات غير جنسيتهم ، وسلطت بعضهم على بعض ليجذبه الى ذلك من حيث لا يشعر المسلط ولا المسلط عليه . فهذه التعاليم التي تبثها فيهم تستل من نفوسهم كل شيء اسلامي برفق ولذة كما تستل الراح عقل شاربها . ولو سلكت مسلك جرائد القبط وخطباء القبط في التوسل الى ذلك لما زادت المسلمين الا استمساكا واعتصاما بكل ماتريد ان يتركوه

اللوم اغراء ، والمنازعة مدعاة المشاحة ، والتعصب مثار التعصب ، فكيف تصورت القبط أن تنال بهذه الجلبة على ضعفها ، ماتعلم أوربة أنها تعجز ان تناله بمثل ذلك على قوتها ؟ ؟

أما علموا ان من استعجل الشيء قبل أوانه ، عوقب بحرمانه ،

ألا إنني أعتقد انهم كانوا على مقربة من كل مايطلبون ، وان هـذه الجلبة مازادتهم الا بعداً عنه ، ولهذا قلت أنهم لو صبروا واتبعوا منهاج الحكمة وسنن الاجتماع (كما كان يفعل زعيمهم ونابغتهم) لنالوا من المسلمين بالمسلمين كل ما أرادوا . ولكن أبوا الا أن يذكروا المسلمين بغبنهم ، ويدعوهم الى الاجتماع والتشاور في أمرهم ، بتأليف مؤتمر يتبينون فيه من هم ، وما هي نسبتهم الى غيرهم ، وما كانوا لولا هـذه الحركة القبطية ليقدموا على ذلك

الجنسية الاسلامية والمصرية

قال بعض كتاب فرنسة ان قطراً إسلامياً قدانفصل برمته من مكة وهو تونس. يعني أن جنسيته الاسلامية قد زالت ، لا أن أكثر مسلمي تونس قدخرجوا من الاسلام ، وتركوا الحج الى البيت الحرام ، وأنا أقول أن الجنسـية الاسـلامية بمصر أضعف منها في تونس . وقد بث دعاة الوطنية رأي الجنسـية المصرية في طـلاب جميع المدارس المصرية من أميرية وأهلية وأجنبية . وهم الذين سيتولون جميع الاعمال العامة والوظائف ـ

فكان المنتظر أن تمحو نابتة المسلمين بأيديها ما بقي في ذلك من صبغة الاسلام حتى لا يبقى الا اسم مصري ومصرية : الشارع المصري ، القانون المصرى ، الحكومة المصرية ، المصلحة المصرية الخ ولكن القبط أبوا الا أن يقولوا « قبطي وقبطية » ولم يحسبوا حسابا لمقابلة المسلمين لهم على ذلك بقول اسلامي واسلامية

أليس من المعقول أن يقول المسلم المصري اننا قد تركنا جنسيتنا الاسلامية ونحن أكثر من أحد عشر مليوناً لاجل الاتحاد بنصف مليون من القبط لم نستفد ولن نستفيد بالاتحاد بهم شيئاً لم يكن لنا ، بل خسرنا وسنخسر كثيراً مما كان لنا وحدنا ، فكيف رضي المغبون الخاسر ، ولم يرض الرابح الظافر ؟ .

أليس من الذل والهوان أن نرضى بالانتقال من اسلامية الى « مصرية » ليكون ذلك مدرجة الى الانتقال من « مصرية » الى « قبطية » ؟ واذا كانت هذه الجنسية المصرية التي انتحلناها تبعدنا عن سائر اخواننا المسلمين ، وهم يعدون بمئات الملايين ، ولا تقربنا من جيراننا القبط وهم نصف مليون ، فكيف تكون جنسية جديدة لنا ولم يتجدد لنا بها شيء ؟ صرنا نعد المسلم الشامي والحجازي دخيلا فينا ، لا نسمح أن يدخل حكومتنا ،

او يشاركنا في مصالحنا ، لاجل أن يكون القبطي أخا لنا ، له مالنا وعليه ماعلينا ، فأبعدنا ذاك ولم نستطع أن نقرب هذا فمن نحن اذا وما هي جنسيتنا ؟

كان الامير محمد ابراهيم قدعني باللغة العربية ، من دون سائر هذه الاسرة الخديوية ، فدخل عليه بعض أقاربه الامراء فرآه ينظر في بعض الكتب العربية فلامه على ذاك وسأله عن سبب هذه العناية فأجابه هل نحن افرنج وهل يعدنا الافرنج منهم ؟ قال اللائم لا . قال هل يعدنا الترك منهم ؟ قال لا . قال فهل الافضل لنا أن لايكون لناجنس ؟ كلا اننا قد صرنا عربا مصريين فالواجب علينا أن نعرف لغة أبناء جنسنا

هذه هى الحكمة التي نطق بها الامير محمد ابراهيم فحج بها لائمه . أفلا يسع القبط ماوسع الاسرة المالكة فيكونوا عربا مصريين ؟ . ويتركوا كلمة قبط في كل مايتعلق بالحكومة والمصالح الدنيوية ويجعلوها خاصة بمجلسهم الملي وشؤونهم الدينية فيكونوا هم المفلحين ؟. فان القبطية تصلح أن تكون جنسية دينية لهم ان أحبوا أن لا يمتزجوا بغيرهم من النصارى المتمصرين . ولكنها لاتصلح جنسية سياسية دينية معا ولا سياسية فقط اذ لايمكن

أن يرضى المسلمون ان يعودوا في مصر قبطاً ولا في بلاد الاعاجم وثنيين ومجوساً وبوذيين . فاذا كانوا يطلبون المساواة حقيقة لا تمويها فليتركوا العصبية القبطية والجنسية القبطية والمطالب القبطية فان كل شيء ينالونه بهذه النسبة وهذا اللقب يدفع المسلمين الى الرجوع الى الجنسية الاسلامية ويخشى حينئذ أن يخسروا بحق بعض ماربحوه بغير حق

لا يغرنكم ان المتعلمين منكم عددهم النسبي أكثر من عدد المسلمين كما تزعمون ، فالعبرة في المقاومة للكثرة الحقيقية لا للكثرة النسبية ، والمتعلمون من المسلمين أكثر من المتعلمين منكم على كل حال . لا يغرنكم ان ثروتكم النسبية أوسع من ثروة المسلمين كما تقولون ، لا لاجل ماقلته في عدد المتعلمين بل لان المسلمين اذا تعصبوا عليكم لا تستطيعون ان تزرعوا أرضكم الا اذا جعلتم أكثر غلتها لهم لانكم لاتجدون الزارعين والعاملين فيها الا منهم ، فاذا علمتموهم التعصب والتكافل فانهم يستطيعون ان يفقروكم بالاعتصاب الذي بدأ التفرنج ينفخ روحه في مصر

اذا كنتم لاتدركون مغبة هذه الحركة التي قمتم بها ـ فكيف خفي هذا الامر الطبيعي عن أصحاب الجرائد السورية والافرنجية

وهم أعلم منكم بطبيعة الاجتماع وأخلاق الامم فلم ينهوكم عن هذه الثورة القبطية التى تهدم ما بنوه في السنين الطوال من محاربة التعصب والانقسام الديني والطائفي في هذه البلاد فبفضل جهادهم وطبيعة التفرنج الذي ينصرونه قد صار كل ما للمسلمين في هذه البلاد متحركا بحركة الاستمرار لا بالحركة الطبيعية الحقيقية التي لا يفضلون بها القبط بل القبط تفضلهم فيها .

تأثير الحركة القبطية في المسلمين

نعم كان المسلمون يتحركون بحركة الاستمرار في كل ما هو اسلامي فأحدثت القبط لهم حركة طبيعية جديدة ولكن الباعث عليها من الخارج لا من النفس ، لذلك ينتظر أن تكون قوة الدفع فيها ضعيفة ، وان لا يطول عليها الامد حتى تعود الى حركة استمرارية ، لا قوة فيها ولا تأثير لها الا اذا تجدد المحرك الدافع . فمن مصلحة غير المسلمين أن يمنعوا تجدده لينالوا كل ما يؤملون بهدوء وسلام ، وان كلمة واحدة من لجنة مؤتمر القبط التنفيذية تحل الاشكال ، وهى « قررنا أن لا نطلب من الحكومة شيئاً للقبط بل ندعها تختار الاكفاء لاعمالها برأيها واجتهادها وأن

لايذكر لفظ قبط ولا مسيحيين في المصالح الدنيوية »

انني أعتقد أن هـذا الحل خير للقبط وجميع المسيحيين فى هذا القطر لانهم يكونون هم الرابحين فيه ، وان الاربح للمسلمين أن يحافظوا على جنسيتهم الاسلامية ، ولـكنهم يرضون بايثار غيرهم عليهم بمساواته بهم في بعض المصالح ، ورجحانه عليهم في بعض المرافق ، اذا هو ترك لهم بعض الخصائص التي صارت أعضاء أثرية أو كادت ، ولا يضره تركها لهم وهو يعلم انها ستزول بالتدريج

يظن كثير من القبط وغيرهم أن المسلمين لايستطيعون أن يحركوا حركة اسلامية خوفاً من أوربة المسيحية أن تسمح حينئذ للانكليز بضم مصر الى مستعمراتهم والتعجيل بمحو هذه الصبغة الاسلامية الحائلة التي أوشكت أن تزول من نفسها، وان يتركوا سنة التدريج في ازالتها ، وقد يصدق هذا الظن اذا هاج المسلمون على المسيحيين فاعتدوا على أموالهم أو أنفسهم ، وهذا مالا يكون من مسلمي مصر . فان كانت القبط تحرك النعرة الاسلامية لظنها أن المسلمين بين أمرين لاثالث لهما : إما السكوت فتنال القبط بجبنهم العلو عليهم ، واما الثورة فتقضي انكلترة القضاء الاخير على حكمهم ، فلتعلم القبط أن هنالك أمراً ثالثاً أعدل

وأقرب ، وهو ان يتعصب المسلمون لجنسيتهم الاسلاميـة كما يتعصب القبط سواء ، بلا ثورة ولا اعتداء ، وكيف يكون ذلك ؟

يحصون المستخدمين من القبط في دوائرهم ومزارعهم فيخرجونهم منها ويستبدلون بهم أبناء جنسهم ودينهم ، يقدم رجال الحكومة منهم المسلم على القبطي بمثل الطريقة التي امتلأت بها مصلحة سكة الحديد ومصلحة البريد وغيرهما بالقبط ، يؤلفون الجمعيات الاقتصادية والاجتماعية لمباراة القبط ومسابقتهم في الزراعة وغيرها من طرق الكسب وحمل الفعلة والعمال من المسلمين على الاعتصاب عند الحاجة ، يفعلون هذا وأمثاله من غير ذكر للقبط ولا لغيرهم من المسيحيين الا بخير . فماذا تفعل انكلترة المسيحية وأوربة المسيحية بهم في مثل هذه الحال ، وما هي من المحال ، ألا يكون هذا ربحا للمسلمين وخسارا على القبط من غير خطر ولا سوء عاقبة ؟ بلى فالخير للقبط وغيرهم أن يعملوا بما ارتأيته ، ولو خرج زعيمهم النابغة من قبره الآن لما أشار عليهم بغيره ، اللهم الا ان يكونوا مدفوعين من الانكليز الى ما عملوا ، آخذين منهم ميثاقاً غليظاً على اجابتهم الى ما طلبوا ، وهذا لا يعقل أن يصدر من الحكومة الانكليزية وانما يقال أن

بعض القسيسين والسياسيين وعدوهم لينفذن لهم ذلك، فان ظهر له أثر عملي اضطر المسلمون أن يعتصموا برابطتهم الاسلامية لئلا يصيروا بعد سنين قليلة اجراء وفعلة، ليس لهم في البلاد التي كانت لهم وحدهم شأن، لا في الحكم ولا في غير الحكم.

﴿ النتيجة ﴾

ها أنا ذا قد حللت المسألة تحليلا، وفصلتها بسنن الاجتماع البشري تفصيلا، واضطررت أن أكرر بعض المعاني، لاجل أن تستقر في الاذهان، والنتيجة الطبيعية محصورة في أحد أمرين كما علم من كلامنا آنفا (١) اما استمرار القبط على مطالبهم القبطية ورجوع المسلمين الى جنسيتهم الاسلامية، ومقاومة القبط بالوسائل الاجتماعية والادبية (٢) واما رجوع القبط عن هذه النزعة الدينية، وسكوتهم مذ اليوم عن مطالبهم القبطية، وحينئذ يبقى المسلمون على ما كانوا عليه من التساهل والدعوة الى الوطنية، والجنسية المصرية، التي يفضلون بها القبطي على المسلم غير المصري وان تمصر. والامر الثاني هو الذي يفضله الافرنج وجميع المسيحيين واليهود في هذه البلاد لانه غرس أيديهم، وغرضهم

من جهادهم ، ومثلهم في ذلك جميع المتفرنجين من المسلمين ، وسنبين في النبذة الرابعة مسألة يوم العطلة بالدلائل والبراهين .

*
* *

النبذة الرابعة

العيد الاسبوعي في الملل الثلاث :

لكل أمة من الأمم الثلاث -الاسلامية واليهودية والنصرانية- يوم في الاسبوع تجتمع فيه للعبادة وصلة الرحم وزيارة الاصدقاء ما لاتجتمع في غيره فهو عيد ملي لها في كل اسبوع وشعار من شعائرها الدينية والاجتماعية التي يمتاز به بعضها عن بعض. فلا تترك أمة منها شيئاً من خصائص يومها للاخرى الا اذا رضيت أن تكون منها مكان التابع من المتبوع ، والمقتدي من الامام ، وينقص بما تتركه من مقوماتها ومشخصاتها الملية بقدر ماتتركه فيضعف ارتباطها واعتصامها الذي به كانت أمة واحدة . ومتى سهل على الامة ترك مابه كانت أمة فاحكم عليها بالفناء والزوال ، ولا سيما اذا كانت بجوار أمة قوية تتعمد سلب استقلالها ، وتتوخى تسخيرها لمنافعها أو جعلها غذاء لها .

للمسلمين يوم الجمعة ثبتت خصوصيته بنص كتابهم القرآن ، وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام ، وعمل سلفهم الصالح . ولليهود يوم السبت بنص كتابهم التوراة وعمل سلفهم من عهد موسى صلى الله عليه وسلم . وللنصارى يوم الاحد برأي بعض رؤساء الكنيسة لا بنص من المسيح عليه الصلاة والسلام ولا من حواريه في الانجيل ولا في الرسائل التي يطلق على مجموعها العهد الجديد. وان العهد الجديد مبني على أساس العهد العتيق الذي هو مجموع كتب اليهود من الاسفار المنسوبة الى سيدنا موسى ، والكتب المنسوبة الى أشهر أنبياء بني اسرائيل عليهم السلام، وفي الانجيل أن المسيح عليه السلام قال : ماجئت لا نقض الناموس وانما جئت لأتمم. والناموس هو شريعة موسى ولكن النصاري نقضوه بالتأويل لجمل قالها بولس في رسالته لاهل غلاطية ورسالته لاهل رومية

قال بعض علماء البروتستانت ان الناموس يطلق على شريعة موسى الادبية والطقسية والسياسية. أما الشريعة الادبية فمختصرها الوصايا التي أنزلها الله على موسى في لوحين من حجر ، وأما الناموس الطقسي أو ناموس الشعائر الدينية فكان دستور العبادة

العامة والخاصة وبه تعرف كيفية الذبائح والصيام والتطهير والصلاة والاعياد ويتدرج الى الناموس السياسي الذي أفرز شعب الاسرائيليين من جميع الشعوب المجاورة. ولما كان ناموس الشعائر هذا يشير الى المسيح فلذلك ألغي عند إتيانه اه المراد بحروفه .

والعبرة فيه أن الوصية في التوراة بحفظ يوم السبت من الشريعة الادبية المقارنة لتوحيد الله تعالى وعدم الشرك به وللنهي عن القتل والزنا والسرقة فهي لم تنسخ بمجيء المسيح . وكيف تنسخ به هذه الوصية وهي ركن من أركان الدين وقواعده الاساسية ونطق العهد العتيق بتقديس يوم السبت في الكلام عن مبدإ الخلق والتكوين

جاء في الفصل الثاني من سفر التكوين « ٢ وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل ٣ وبارك الله اليوم السابع وقدسه لانه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً » ثم أكد على لسان موسى تأكيدا ، وشدد في حفظه وتقديسه وترك العمل فيه تشديدا

جاء في سفر الخروج (١٦ : ٢٣ فقال لهم (موسى) هذا ماقال الرب: غداً عطلة سبت مقدس للرب . اخبزوا ماتخبزون واطبخوا ماتطبخون وكل مافضل ضعوه عندكم ليحفظ الى الغد -

الى أن قال ـ لايخرج أحد من مكانه في اليوم السابع ٣٠ فاستراح الشعب في اليوم السابع)

(وفيه من الوصايا) ٢٠ : ٨ اذكر يوم السبت لتقدسه ٩ ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك ١٠ وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك . لاتصنع عملا ما أنت وابنك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي دخل أبوابك ١١ لان في ستة أيام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل مافيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه)ونحوه في ٢٣ : ١٢ و٣٤ : ٢١ منه

وفي تثنية الاشتراع من الوصايا أيضاً (٥ ـ ١٢ احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك ١٣ ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك ١٤ وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك لاتعمل فيه عملا ما أنت وابنك وبنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذي في أبوابك لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك

وفي الفصل الرابع من أرميا تأكيد عظيم للوصية بيوم السبت ووعد لهم بالجزاء على ذلك في الدنيا بدخول ملوك ورؤساء مدينة أورشليم وتسكن الى الابد وتجلب اليها الذبائح والمحرقات واللبان

ثم قال في آخر الفصل « ٢٧ ولكن إذا لم تسمعوا لي لتقدسوا يوم السبت لكيلا تحملوا حملا ولا تدخلوه في أبواب أورشليم يوم السبت فاني أشعل نارا في أبوابها فتأكل كل قصور أورشليم ولا تطفىء » اه وأرميا يقوله حكاية عن الرب

وأما الوعيد في الاسفار المنسوبة الى موسى على مخالفة هذه الوصية فشديد جداً ففي الفصل الحادي والثلاثين من سفر الخروج مانصه : « ١٢ وكلم الرب موسى قائلا وانت تكلم بني اسرائيل قائلا ١٣ سبوتي تحفظونها لانه علامة بيني وبينكم في اجيالكم لتعلموا انى انا الرب الذي يقدسكم ١٤ فتحفظون السبت لانه مقدس لكم من دنسه يقتل قتلا ، ان كل من صنع فيه عملا تقطع تلك النفس من بين شعبها ١٥ ستة أيام يصنع عمل وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب ، كل من صنع عملا في يوم السبت يقتل قتلا ١٦ فيحفظ بنو اسرائيل السبت ليصنعوا السبت في اجيالهم عهدا ابديا ١٧ هو بيني و بين بني اسرائيل علامة الى الابد ، لانه في ستة أيام صنع الرب السماء والارض وفي اليوم السابع استراح وتنفس » اه

وفي أول الفصل الخامس والثلاثين منه (١ وجمع موسى

كل جماعة بنى اسرائيل وقال لهم هذه الكلمات التي أمر الرب أن تصنع ٢ ستة أيام عمل يعمل وأما اليوم السابع ففيه يكون لكم سبت عطلة مقدس للرب ، كل من يعمل فيه عملا يقتل ٣ لاتشعلوا ناراً في جميع مساكنكم يوم السبت)

وفي الفصل الخامس عشر من سفر العدد أنه وجد رجل في البرية يحتطب « ٣٥ فقال الرب لموسى قتلا يقتل الرجل يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة » فرجموه

هذه هي النصوص التي عليها مدار تقديس يوم السبت في العهد القديم وكان عليها المسيح والمؤمنون به كما يؤخذ من العهد الجديد ففي قصة الصلب ان المؤمنين والمؤمنات لم يخرجوا لاجل سيدهم الذي تركوه مساء الجمعة مصلوبا حسب رواية الاناجيل الاربعة ولكن مريم المجدلية و مريم أم يعقوب وسالومة ذهبن صباح الاحد للبحث عنه

ان المسيح عليه السلام جاء مصلحاً في اليهود ، مزحزحا لهم عما كانوا عليه من الجمود ، ولذلك أباح الاعمال الضرورية والخيرية في يوم السبت فقط ولم يأمر بتقديس يوم الاحد ولا غيره . ففي أول الفصل الثاني عشر من انجيل متى ان التلاميذ لما جاعوا

وأكلوا السنبل يوم السبت قال الفريسيون للمسيح ان تلاميذك يفعلون مالايحل فعله في السبت ٣ فقال أما قرأتم مافعله داود حين جاع هو والذين معه ٤ كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط » الخ ماذكره . وفيه ذكر مثل يفهم منه ان الضروريات كانت تحل عندهم وهو (أي انسان منكم يكون له خروف واحد فان سقط هذا في السبت في حفرة أفما يمسكه ويقيمه . . .) ثم قال (اذاً يحل فعل الخير في السبوت)

والقصة مذكورة في آخر الفصل الثاني من انجيل مرقص أيضاً وفيها ان داود أكل وأطعم الذين كانوا معه وان المسيح قال « السبت انما جعل لاجل الانسان لا الانسان جعل لاجل السبت » وتمتها في أول الفصل الثالث منه وفي أول الفصل السادس من انجيل لوقا نحو ماتقدم ، وفي الفصل الثالث عشر منه انه أبرأ في السبت امرأة كان فيها روح ضعف فأنكر ذلك عليه رئيس المجمع فأجابه المسيح «١٥ وقال يامرائي ألايحل كل واحد منكم في السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضي به ويسقيه ١٦ وهذه وهي ابنة ابراهيم قد ربطها الشيطان ثماني عشرة سنة

أما كان ينبغي أن تحل من هذا الرباط في يوم السبت »

وفي الفصل الخامس من انجيل يوحنا انه شفى مريضاً وأمره بالذهاب فحمل سريره وذهب فأنكرت اليهود عليه ولما علموا انه هو الذي أبرأه عزموا على قتله عملا بحكم التوراة . قال يوحنا « ١٨ فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه لانه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً ان الله أبوه معادلا نفسه بالله »

فقد صرح يوحنا بأنه نقض يوم السبت ولكن في عمل الخير فالذي يتبع المسيح حقيقة يترك عمل الدنيا يوم السبت الا ما كان ضروريا ويجعل كل عمله برا وخيراً وأما استحلال كل عمل يوم السبت وتحريم العمل يوم الاحد فهو من تقاليد الكنيسة لاجل مخالفة اليهود في شعائرهم وتقاليدهم ويعللون ذلك بأن يوم الاحد قد صارت له مزية ليست ليوم السبت بقيام المسيح فيه، وسماه بولس وغيره يوم الرب، ويمكن أن يجابوا بأن هذه المزية لاتقتضي تحريم العمل فيه، ولم لاتقولون ان ليوم الجمعة مزية بوقوع الصلب فيه على حسب اعتقادكم وبه كان فداء البشر وخلاصهم واحتمال اللعنة عنهم فهو أجدر بأن يترك العمل فيه

روت الجرائد ان القس أخنوخ فانوس خطيب الحركة القبطية أثبت في المؤتمر القبطي أن من يعمل يوم الاحد عملا يقتل وكأنه ذكر مانقلناه آنفا عن العهد العتيق في تقديس يوم السبت وحوله إلى يوم الاحد والنصوص لاتقبل التحول فان لفظ السبت قد تكرر مراراً وتكرر ذكر علته ، وهي علة لاتوجد في غير السبت ، وقد جعلها العهد العتيق عهداً أبديا بين الرب وبين عباده المخاطبين بها والابدي لاينسخ ولاينقض ، ولنا في هذا المقام مسائل:

(١) ان العقوبة المرتبة على ترك تقديس يوم السبت وهي القتل والرجم هي من الناموس الطقسي أو السياسي وقد قلتم ان هذا قد نسخ بظهور المسيح

(٢) اذا كان هذا العقاب لم ينسخ وانما نسخ يوم السبت بيوم الاحد فصار له حكمه فلماذا لانرى حكومة من الحكومات المسيحية تقتل من يعمل يوم الاحد رجماً بالحجارة كما فعل موسى، فهل تركت جميع الحكومات المسيحية هذا الحكم وتريد أن تقيمه أنت يا أخنوخ في مصر؟

(٣) ان القتل جزاء دنيوي فاذا تركه الحكام في الدنيا

فهل يكونون تاركين لنصوص دينهم فاسقين منه أم لا ؟

(٤) اذا ترك هذا العقاب في الدنيا فهل له بدل في الآخرة أو يوم الدين (أو الدينونة كما تعبرون) أم لا فاذا لم يكن له بدل فلماذا يهول به أخنوخ أفندي في خطبته ؟

(٥) اذا كان العمل في يوم الاحد جريمة يستحق صاحبها القتل بالرجم كالزاني عند اليهود وقد نسخت النصرانية رجم الزاني ولم تنسخ الرجم على العمل في يوم السبت أو بدله الأحد لانه أقبح عندها فهل جهل ذلك بطارقة القبط وغيرهم من رؤساء الديانة النصرانية أم علموه ، واذا كانوا علموه فلماذا تركوا النهي عن هذه المعصية الكبرى وسمحوا لأبناء دينهم بالعمل في الحكومة المصرية وبغير ذلك من الاعمال في أيام الآحاد؟

(٦) اذا كان جميع حكام النصارى في ممالكهم وجميع رؤساء الدين المسيحي في مصر وما يشابهها من البلاد قد تركوا هذه النصيحة الدينية عن علم أو غير علم كما يفهم من كلام الخطيب المفوه أخنوخ أفندي فلماذا ترك هو ذلك أيضاً وقد خصه الله بهذا العلم وهذه الغيرة على الدين فلم يظهر علمه ونصحه الا في هذه الايام ؟؟

ان مجال القول في هذا الباب واسع ولا فائدة في التطويل فيه والامر الذي لامراء فيه هو الواقع وهو ان لكل ملة من الملل الثلاث يوما وان للمسلمين واليهود من النصوص الدينية على يومهم في كتبهما ماليس للنصارى مثله ولا يحول أحد عن يومه الا في بعض الامور التي يضطر فيها الى اتباع من هو أقوى منه ، وقد اتبع النصارى المسلمين في الحكومات الاسلامية كحكومة مصر في ترك العمل يوم الجمعة كما اتبع المسلمون حكومات النصارى في ترك عمل الحكومة يوم الاحد في مثل روسية . وقد أحست القبط بأن الاحتلال أخرج حكومة مصر عن كونها حكومة اسلامية بل جعلها مسيحية أو كاد ولذلك طلبوا أن يترك فيها العمل يوم الاحد

ليس سعي هذه الطائفة الحية المعتصمة بمقوماتها الملية الى هذا من مبتكرات مؤتمرها الجديد ، بل هو سعي قد صار قديما وكادوا بالحاحهم فيه على المحتلين يذهبون بحلمهم ويرفعون درجة الحرارة في دمهم البارد الى درجة الغليان

استأذن بعض وجهائهم مرة على مستر دنلوب وكان كاتب السر لنظارة المعارف فظن دنلوب ان له شغلا يتعلق بالمعارف

فلما أذن له طفق يتكلم عن وجوب ترك الحكومة العمل في يوم الاحد دون يوم الجمعة ويحثه على السعي لذلك حتى غضب وقال له بأي حق أم بأية صفة أغير نظام الحكومة الاساسي قم فاخرج من هنا

ان ما عجز عنه هذا الوجيه الغيور، كاد يظفر به ذلك النابغة المشهور ، فقد كان أقنع مستر سكوت المستشار القضائي ولورد كرومر بالابتداء بذلك في نظارة الحقانية وأمر المستشار بترك العمل في المحاكم يوم الاحد فترك أياما ثم عاد الامر كما كان بسعي الاستاذ الامام واقناعه اللورد ومستر سكوت بسوء مغبة هذا التغيير كما كان دأبه في أمثال هذه الامور

وفي العام الماضي كثر خوض الجرائد الاوربية المصرية وبعض جرائد المسيحيين العربية في هذه المسألة وتحدثت بوجوب تقرير الحكومة المصرية للعيد الاسبوعي وجعله اجباريا للحكومة والامة . وكانت تحوم حول يوم الاحد لترجحه على غيره فتدندن وتجمجم تارة وتبين تارة أخرى ، وكانت جريدة الاخبار الغراء تختار صفوة أقوال تلك الجرائد في ذلك وهي هي الجريدة التي تنصر ببراعتها دينا على دين وحزبا على حزب وطائفة

على طائفة وأمة أو دولة على أخرى من غير أن يكتب صاحبها كلمة واحدة بامضائه ، أو يصرح بأن ذلك من مذهبه ورائه ، وانما ينال مايريد بعناوينه اومختاراته . « كالسيل يقذف جلموداً بجلمود »

انني أرفع صوتي مشيدا بالثناء على جريدة الاخبار وجرائد القبط والافرنج وسائر جرائد النصارى التى تؤيد ترجيح يوم الاحد على يوم الجمعة وترجيح كل ماينسب الى ملتهم على غيره ، أثني على أصحاب هـذه الجرائد وكتابها بالارتقاء الملي ، والجهاد الادبي ، الذي يجعلون به ملتهم قدوة الملل ، وقومهم سادة الاقوام ، وأي ارتقاء أعلى من ارتقاء العدد القليل ، يطلب فينال مالم يكن له من العدد الكثير ، واذا شعر خصمه بانه قد هوجم لازالة مقوماته ومشخصاته القومية ، ونسخ شعائره وتقاليده الملية ، واراد الدفاع عن نفسه ، والمحافظة على دينه وجنسه ، جعل متعصبا مذموما بمدافعته ، ومهاجمه متساهلا محمودا في مهاجمته

كان الغالب على المسلمين أن لا يشعروا بما يناله غيرهم منهم لان ذلك يجري بالهدوء ولطافة النسمات ، وهينمة العاشقين في الخلوات ، والنائم المستغرق لا توقظه الا الصيحات والصاخات . ألم تر أن

المسيحيين الغيورين قد أقنعوا كثيراً من تجار المسلمين بترك العمل في يوم الاحد والاشتغال في يوم الجمعة . وهل يستطيع جميع المسلمين ان يقنعوا مسيحياً واحداً بترك العمل في يوم الجمعة والاشتغال في يوم الاحد؟ لالا ولماذا ؟ أليس لان المسيحيين أعرف من المسلمين بقيمة المحافظة على الشعائر والمقومات الملية ، وأقدر في ميدان المجاهدة الاجتماعية والادبية؟ بلى وليكون الظفر لهم في كل مايريدون ، الاان يقتدي بهم في ذلك المسلمون ، فحينئذ تكون العزة في كل مكان للكاثر .

يوم الجمعة عيد المسلمين

يظن بعض الجاهلين منا أن أمر عمل الحكومة في يوم الجمعة سهل ، وأنه لاينافي الدين في شيء ، اذا أمكن للمسلم ان يؤدي فرض الجمعة ، لذلك اختم هذه النبذة ببعض ماورد في الجمعة

(١) قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع . ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) فأوجب الله تعالى السعي الى صلاة الجمعة وترك البيع في وقتها . ومثل البيع غيره من الكسب ، والاعمال

التي تحول دون هذه الفريضة وان كانت من أعمال البر . وورد في الاحاديث من التغليظ على تارك الجمعة مالم يرد في عبادة أخرى ومنه أن من تركها ثلاث مرات طبع الله على قلبه . وفي رواية فقد نبذ الاسلام وراء ظهره

(٢) ورد في غسل الجمعة أحاديث متعددة صحيحة وحسنة من أشدها تأكيداً حديث « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » رواه مالك واحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه . وحديث (غسل يوم الجمعة واجب كوجوب غسل الجنابة) رواه الرافعي عن أبي سعيد الخدري بسند صحيح .

(٣) التبكير الى المسجد قال صلى الله عليه وسلم « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة (أي غسلا تاما مثل غسل الجنابة لاجل الجمعة) ثم راح (أي الى المسجد) في الساعة الاولى فكأنما قرّب بدنة (أي كأنما تصدق بجمل أو ناقة) ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » رواه

البخاري ومسلم وغيرهما . وفي فضيلة البكور أحاديث وآثار كثيرة ولا يتيسر الغسل والتبكير الى المسجد مع الاشتغال في دواوين . الحكومة فلا شك انه عائق عن هذه الاعمال الدينية المؤكدة

(٤) يوم الجمعة عيد ملي لنا في مقابلة يومي السبت والاحد لاهل الكتاب ففي حديث الصحيحين وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «نحن الآخرون السابقون بيد انهم أوتوا الكتاب من قبلنا . ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد » وفي معناه أحاديث أخرى وفي بعضها التصريح بتسميته عيداً . وفي مسند الشافعي وغيره ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم « هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى» وفي رواية لابن أبي شيبة ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم في الجمعة « تكون عيداً لك ولقومك من بعدك ويكون اليهود والنصارى تبعا لك » فهل يرضى مسلم جعله الله ورسوله متبوعا في الجمعة أن يتركها ويكون تابعاً لغيره في يوم عيده الديني؟ وهذا أمر مشهور عند المسلمين حتى قال الشاعر :

عيد عيد وعيد صرن مجتمعه   وجه الحبيب ويوم العيد والجمعه

ولولا خشية السامة على القارئين لاطلت في هذه المسألة وقد ظهر بهذه الاشارات الوجيزة أن يوم الجمعة عيدنا الملي فلا نعدل به غيره ولا نستبدل به سواه والا كنا تاركين لشعائرنا، جانين على ديننا وجامعتنا . وأما علة تمييزه فقد ورد من بيانها في الاحاديث الصحيحة ان الله تعالى خلق فيه آدم وفيه تقوم الساعة، أي ينبغي لنا ان نشكر الله في هذا اليوم على خلقه إيانا، ونستعد فيه ليوم لقائه

ان أهل كل ملة من الملل الثلاث يحافظون على يوم عيدهم الاسبوعي جهدهم، يقول بعض الناس ان من مصلحة الامة أو البلاد أن يتفق أهلها على يوم يتركون فيه الكسب والعمل في الحكومة والمصالح لاجل اتحاد الامة وتقوية الروابط الاجتماعية بينها، نقول نعم وان البلاد المصرية مؤلفة من المسلمين وهم الاكثر ومن النصارى واليهود وفيها بعض الوثنيين والبابية والجميع لا يزيدون على ثمانية في المئة فهل من العدل ترجيح يوم أحد عشر مليونا ونيف من اهلها أم ترجيح يوم من أيام الملل التي يتألف منها بقية المصريين وهم لا يكادون يعدون مليوناً واحداً

الامر ظاهر ، والصواب واضح ، ولكن بعض الفئات القليلة حسب ان الفئة الكبيرة قد مات شعورها الملي وتقطعت روابطها الاجتماعية فصار يسهل أن تكون تابعة لا متبوعة . وقد يقوم الدليل على صحة هذا القول من أفعال الكثيرين الذين قطعوا الروابط القديمة ليستبدلوا بها الرابطة الوطنية فهدموا بناءهم القديم ولم يقدروا على اقامة هذا البناء الجديد (الوطنية) الا في مخيلات بعض الشبان . السواد الاعظم من الامة المصرية لم يفهموا حقيقة هذه الوطنية الى اليوم فالتعجيل بالقضاء على شعائرها الملية ، بمثل هذه الصيحة القبطية ، مما يزيد استمساكها بها كما تقدم

هذا ماأحببت بيانه في هذه المسألة وسأبحث في النبذة الخامسة من هذا المقال في مسألة التعليم الديني ان شاء الله تعالى

***

النبذة الخامسة

التعليم الديني في مدارس الحكومة

لجميع الحكومات المدنية مدارس ولا نعرف حكومة منها تعلم في مدارسها دينين فأكثر من أديان رعيتها ، ولا مذهبين فأكثر من مذاهب الدين الواحد فيها ،

في البلاد الروسية أكثر من خمسة وعشرين مليوناً من المسلمين وفيها كثير من اليهود ، ولا يلقن في مدارس حكومتها الا المذهب الارثوذكسي من مذاهب النصرانية لانه مذهب الحاكم العام وأكثر الاهالي ، بل الحكومة الروسية تضيق على المسلمين في مدارسهم الدينية فلا تسمح لهم أن يعلموا فيها كما يحبون ويعتقدون ، وقد رأينا بعض العلماء الذين نفتهم من بلادهم وأخرجتهم من ديارهم وأقوامهم ولا ذنب لهم الا التعليم الذي يرقي التلاميذ المسلمين .

وفي الجزائر البريطانية كثير من الكاثوليك ولا تسمح الحكومة لهم بأن يلقنوا مذهبهم في مدارسها بل المذهب الذي يدرس فيها هو مذهب البرتستانت الذي عليه ملك الانكليز وأكثر الشعب الانكليزي ، فهل تسمح هذه الحكومة الحرة بأن يدرس في مدارسها دين اليهود من رعاياها وهي لاتسمح بتدريس مذهب الكاثوليك من مذاهب دينها ؟ ؟ ولا نشرح مايشترط على ملك الانكليز أن يقوله عند تتويجه من الطعن في الكاثوليكية والبراءة منها ، ولا منع الحكومة الانكليزية

الكاثوليك من اظهار بعض شعائر مذهبهم في عيد الفصح أو غيره ، وقس على ذلك سائر دول أوربة

وفي البلاد العثمانية من الاديان والمذاهب مالا يوجد في غيرها ولكن دين الدولة الرسمي هو الاسلام ومذهبها هو المذهب الحنفي فهي لاتسمح ان يدرس في مدارسها غير المذهب الحنفي من المذاهب الاسلامية دع الاديان الاخرى . ولم يكن الحنفية هم اكثر مسلمي البلاد العثمانية وانما كثرتهم في البلاد العربية الدولة نفسها

كانت البلاد المصرية ولا تزال بلاداً عثمانية لم تنازع انكلترة ولا غيرها من الدول في ذلك . وانما فوضت الدولة أمر ادارتها الى محمد علي الكبير وذريته بشروط منصوصة في الفرمانات التي يولي بها السلطان العثماني كل خديوي من هذه الذرية. وكان مذهب محمد علي وذريته هو المذهب الحنفي فلما صار للحكومة المصرية مدارس رسمية كسائر الحكومات المنظمة جعلت تعليم الدين فيها خاصاً بالمذهب الحنفي على قلة الحنفية في هذا القطر ، فان أكثر أهله شافعية ويليهم في العدد المالكية. والحنفية هم العدد الاقل فيها ولولا الحكومة وحصرها الوظائف الدينية في الحنفية

لكان وجود الحنفي في هذا القطر ، أندر من وجود الشافعي أو المالكي أو الحنبلي في بلاد الترك ، إلا من يرحلون الى الازهر لتلقي العلوم الاسلامية فيه ثم يعودون الى بلادهم

من المعقول ان يرجح دين الحاكم العام ومذهبه على غيره فيكون هو الذي يدرس في مدارس حكومته دون سواه. ومن المعقول أيضاً أن يرجح مذهب السواد الاعظم من الامة على مذهب الحاكم العام وأن يترك هو مذهبه الى مذهب الجمهور ، واذا اتفق أن استولى حاكم على شعب مخالف له في الدين فمن المعقول أن يترك للشعب حريته الدينية ولا يصادره فيها ، ولا يعقل أن يرضى الشعب باتباع دين الحاكم المتغلب باختياره كما يرضى باتباع مذهبه اذا كان موافقا له في أصل الدين الا اذا كان الخلاف في المذهب قوياً يتناول مايعد من الاصول كمذاهب النصرانية وبعض المذاهب الاسلامية

وأما الذي لايوزن بميزان العقل ، ولا يقاس بمقياس المصلحة ، ولم ينص في شرع ولا قانون ، ولم يقل به فيلسوف ولا مجنون ، ولم تفعله حكومة من حكومات الارض ، فهو مايطالب به مؤتمر القبط الحكومة المصرية . حكومة شكلها اسلامي ، حاكمها العام

مسلم ، تعترف الدول كلها أنها تحت سيادة خليفة المسلمين ، رعيتها أكثر من تسعة أشعارهم من المسلمين ، والباقون لهم عدة أديان ومذاهب . تطالب هذه الحكومة بأن يدرس في مدارسها دين غير دين الحاكم العام، والسواد الاعظم من أهل البلاد !!

اذا كان هذا من الحق والعدل والمساواة كما تدعي القبط فالواجب على الحكومة الخديوية أن تدرس في مدارسها كل دين ومذهب يتبعه فريق من أهل بلادها كاليهودية بمذهبيها الكبيرين . والنصرانية بمذاهبها الثلاث . والاسلامية بمذاهبها في الاصول والفروع : مذهب السنة ومذهب الشيعة ومذهب الاباضية . والمذاهب الاربعة في الفروع . والا فما هي مزية القبط على اليهود ؟ وأي مذهب من مذاهبهم يرجح على الآخر اذا لم تدرس المذاهب كلها ؟

دعوى القبط في مصر ونسبهم

تقول القبط إن لنا من الحقوق في هذه الحكومة ماليس لغيرنا لاننا سكان البلاد الاصليين ، ويجيبهم المسلمون على هذا بأربعة أجوبة

(١) اننا لا نسلم انكم سكان البلاد الاصليين . وسلالة الفراعنة المستكبرين ، وقد صرح المسلمون بهذا وأيدوه بأقوال مؤرخي الافرنج .

(٢) اذا سلمنا انكم من سلالة قدماء المصريين فان لنا أن نتبع فيكم سنة ارقى الحكومات المسيحية علما وعدلا وحرية في سكان بلادها الاصليين وهي حكومة الولايات المتحدة فهل ترضون ان تكون حقوقكم في هذه البلاد كحقوق هنود أمريكا في حكومتها الآن ، وهم أهلها الاصلاء بغير خلاف ؟

(٣) انكم تقولون ان أكثر مسلمي هذه البلاد منكم واقلهم من العرب والترك والشركس فلا مزية لكم فى هذا النسب الشريف على جمهور المصريين المسلمين ولهم المزية عليكم بكثرتهم ، وكون الحاكم العام من أهل دينهم ، وذلك سبب للترجيح متبع في الحكومات المسيحية الراقية

(٤) ان طول زمن الاقامة في بلد لا يقتضي التفضيل في الحقوق . وقصره لا يقتضي الحرمان من شيء منها متى كان القوم الذين طالت مدتهم أو قصرت من أهل البلاد المقيمين فيها الخاضعين لشريعتها وقوانينها . نعم ان الحكومات قد حددت في

هذا العصر الزمن الذي يكون فيه الغريب عنها وطنياً داخلا في جنسيتها السياسية . وقد بالغت مصر في ذلك مالم تبالغ الحكومات الراقية فجعلت المدة التي يصير فيها الغريب مصريا خمس عشرة سنة . فهذه الحكومة الاسلامية تجعل لأدنى أجير قبطي من الحقوق في بلادها مالا تجعله لاعظم أمير من شرفاء المسلمين يقيم فيها خاضعاً لحكومتها ، قبل أن تتم له تلك المدة (١٥ سنة) فيها . ومن نال هذه الجنسية بشرطها كان له من الحقوق مثل مالغيره من المصريين سواء كانوا من آل فرعون الذي لعنه الله ، أم كانوا من قوم موسى الذي كلمه الله

اليهود أشرف من القبط

كان بنو اسرائيل دخلاء في مصر وفضلهم الله تعالى في كتبه على آل فرعون . ثم فضل الله تعالى العرب واصطفاهم بارسال رسوله منهم مثلما اصطفى اخوتهم بني اسرائيل من قبلهم بارسال رسوله منهم كما أشار الى ذلك في سفر تثنية الاشتراع . فكيف تطالب حكومة مصر التي تدين الله تعالى بتفضيل الشعب الاسرائيلي والشعب العربي في النسب على الشعب الفرعوني أن تميز الشعب

المفضول في كتب الله على الشعب الفاضل بل الشعبين الفاضلين . على ان الانساب في دين هذه الحكومة وشرعها لا تقتضي التفضيل في الحقوق على قدر الفضل في النسب

فعلم مما بيناه ان النسب الفرعوني الذي تُدلّ به القبط غير مسلم لهم، واذا سلم جدلا فهو لا يقتضي تفضيلهم على اليهود، بل اليهود أشرف منهم نسباً لانهم ينتسبون الى أنبياء الله تعالى . والقبط تنتسب الى الفراعنة الوثنيين أعداء الله تعالى . واذا لم يكن لهم صفة تقتضي تميزهم على غيرهم من المصريين فقد هدم الاساس الذي بنوا عليه طلب تعليم دينهم في مدارس الحكومة . نعم ان القبط لا يدينون دين الفراعنة بل دينا يرجحه الاسلام على ذلك الدين، ولكن دينهم ودين اليهود سواء في نظر الاسلام . ولما كان تعليم كل الاديان والمذاهب المعروفة في مصر متعذرا في مدارس حكومتها ، كان من العدل والمصلحة المتبعين في الحكومات الراقية أن لا يدرس في مدارس هذه الحكومة الا دين الحاكم العام الذي هو دين أكثر الشعب . ولا بأس بما جرت عليه من ترجيح مذهب الحاكم على مذهبي جمهور الشعب . واذا فتح باب التعدد

فان أصحاب المذاهب الاسلامية كلها يطلبون تدريس مذاهبهم لاولادهم في مدارس الحكومة

تعميم وتعليم دين واحد

حدثني الثقة ان ناظرة من ناظرات المدرسة السنية الانكليزيات كتبت تقريراً لنظارة المعارف على عهد فخري باشا قالت فيه ماحاصله : ان الغرض من تعليم البنات وتربيتهن على الفضيلة والتقوى لاينال الا بالدين فيجب أن يكون الدين هو الاساس الذي يقوم عليه بناء تعليم البنات وتربيتهن في هذه المدرسة والفائدة تتم بأي دين من الاديان الثلاثة الموجودة في هذه البلاد ، ولا يجوز أن يكون في مدرسة واحدة أكثر من دين واحد لان ذلك مفسد للتربية فيجب اذا أن يكون الدين الاسلامي اجباريا عاماً في هذه المدرسة - ومثلها غيرها أو غيرها مثلها - لانه دين الحكومة وأكثر الاهالي

أهمل هذا التقرير في النظارة وكان جزاء الناظرة الفيلسوفة التي كتبته اخراجها من المدرسة واعادتها الى بلاد الانكليز التي تسع فلسفتها العالية وأفكارها السامية ، بخل مستر دنلوب

بها على هـذه البلاد واستبدل بها ناظرة أخرى لاتصل الى حل سيور حذائها ، ثم بدلت الاخرى ولـكن لم تر المدرسة بعد تلك ولا قبلها مثلها لانها كانت من أرقى نساء الانكليز أخلاقا وآدابا وأفكارا

لو أجبرت الحـكومة الخديوية أولاد القبط الذين يدخلون مدارسها على تلقي دروس الدين الاسلامي والعمل بها لـكان لهـا قدوة في الافرنج الذين تقلدهم في أكثر أعمالها ، ولا أعني بالاجبار اكراه التلاميذ بالقوة على ذلك انمـا أعني أن يكون ذلك شرطا لا يقبل في المدارس الا من يلتزمه . ولـكن هذه الحـكومة لم تفعل ذلك لا في عهد الاحتلال ولا قبله لا لأن أمها الدولة العثمانية لم تفعله بل لانه لم يعهد في الاسلام الذي يرمى أهله بالتعصب ، وانما عهد عند المسيحيين الذين يفخرون علينا بالتسامح والتساهل

في هذه البلاد معاهد للتعليم تديرها الحـكومة وينفق عليها من أوقاف المسلمين المحبوسة على تعليم أولادهم خاصة والحـكومة تقبل في هذه المعاهد أولاد القبط فتعلمهم على نفقة المسلمين مخالفة في ذلك شرط الواقف لاجلهم . فهل تسمح القبط بانفاق قرش واحد من أوقافها على تعليم مسلم ؟

ان أمر المسلمين في تسامحهم مع القبط وترجيحهم لهم على أنفسهم لغريب لم يعهد له نظير في الارض : وقف الخديوي الاسبق اسماعيل باشا واحداً وعشرين ألف فدان على تعليم أولاد المسلمين وهي الارض التي تسمى « تفتيش الوادي » ووقف جده من قبله ثلاثة آلاف فدان على تعليم أولاد القبط فكان عطاؤه للقبط أكثر لانهم لا يبلغون ثمن المسلمين فاستأثرت القبط بما وقف عليها وشاركت المسلمين فيما وقف عليهم . ثم ترفع جرائدها عقيرتها مستغيثة بأوربة المسيحية من ظلم المسلمين لهم في التعليم ويصدقها مؤتمرها على ذلك

من هذا القبيل مساعدة أوقاف المسلمين للجامعة المصرية بخمسة آلاف جنية في كل سنة وهي مفتحة الابواب للقبط وغيرهم وطلبتها من غير المسلمين لا يقل عددهم عن المسلمين

بلغ من طمع القبط في المسلمين أن طلبوا تعليم أولادهم في بعض مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية على نفقة الجمعية فلم يقبل ناظر المدرسة فشكوه الى رئيس الجمعية قائلين ان لهم الحق في التعلم في هذه المدارس لانهم مصريون قبل كل شيء !! وقد جعل أعضاء مجلس ادارة الجمعية هذه الشكوى محل النظر ،

ومال بعضهم الى اجابة الطلب ، لولا ان قامت الحجة عليهم بأن قانون الجمعية الاساسي قد صرح بأن الغرض من هذه الجمعية اعانة فقراء المسلمين وتربية أولادهم لا فقراء المصريين

اشتهرت مصر أنها بلاد العجائب وحق لها أن تشتهر بذلك ، فمسلموها يقفون أرضهم حتى على أديار القبط ، وينفقون من ريع أوقافهم الخاصة بهم على تعليم القبط ، وحكومتهم تسمح للقبط بأن يعلموا دينهم في مدارسها وهو مالا نظير له في الحكومات الاوربية التي تقتدي بها ، والقبط تشكو من ظلمهم ، وتستغيث بأوربة منهم ، وتُدل عليهم بنسبها ، وتدعى انها صاحبة البلاد وانها أجدر بحكمها ، وتسخر من المسلمين وتدعي انها أكبر منهم كفاءة . وان ما أخذته من الوظائف في الحكومة وفي المصالح والمزارع حتى أوقاف المسلمين الخاصة بهم فقد أخذته بحق ، وهي أولى به وأحق ، وما بقي في أيدي المسلمين وهو أقل هذه الوظائف والاعمال فليس لهم فيه حق بل هم هاضمون به حقوق سلائل الفراعنة وأصحاب البلاد الاصلاء فيجب أن يرد اليهم أو أن يأخذوا الآن نصيبا منه ،

قد علمنا بالقياس المطرد المنعكس أن القبط لا يأخذون شيئا

الا ويطلبون ما بعده فلا يجاب طلب الا ويعقبه طلب ، ولا ينتهي أرب الا الى أرب ، ولا يقنع هذه الفئة القليلة العدد ، الكثيرة النشاط الكبيرة الطمع ، الا أن يكون الحكم والنفوذ في هذه البلاد خالصا لها من دون المسلمين . وهذا شأن الشعوب التي تحيا وتمو مع الشعوب التي تموت وتفنى : الحي يتغذى دائما بما يتصل به من الاغذية ، والمشرف على الموت تنحل عناصره المادية وتتفرق فتكون غذاء للاحياء الاخرى ، والحياة قسمان حياة حسية وحياة معنوية وسنة الله تعالى في نظامهما واحدة ،

***

النبذة السادسة

انما نطلب حفظ حقوقنا لا إضاعة حق للقبط

اذا كنت اكتب لاجل ايذاء القبط أو التحريض على ايذائهم، أو لاجل محض مدافعتهم ، ومنعهم مما لا أراه حقالهم ، فلا حملت بناني قلما ، ولا حفظت كما أمرني الرسول صلى الله عليه وسلم ذمة ورحما ، بل أشهد الله انني لا أكتب الا لاجل

الخير والمصلحة دون الايذاء والمفسدة .ولفوائد ايجابية . لا لاغراض سلبية . واذا كان المؤتمر المصري يجتمع ليأتمر بتخطئة القبط في مطالبها فقط فلا خير في هذا المؤتمر واجله ان يكون عمله سلبيا فقط

اني منذ خبرت حال مصر رأيت ان للقبط روابط ملية . دون الرابطة العامة المصرية . بها يتعاونون ويتناصرون . وعليها يجتمعون ويتحدون. ولها يتعلمون و يتربون، واليها يرجعون . فهم بها أمة كما يقولون . وليسوا عضوا من جسم الامة المصرية اذا اشتكي عضو من سائر الاعضاء تألموا له . وانما هم جسم تام مستقل بمقوماته ومشخصاته القومية . وانما يتصل بما يجاوره ليتغذى منه ويمد حياته لا ليمده ويغذيه

هذا ما رأيت عليه القبط فأكبرته وحمدتهم عليه .

ورأيت المسلمين على غير ذلك. رأيتهم يتخاذلون ويتفرقون ويمتص غيرهم مادة حياتهم ولا يشعرون . تتعادى أحزابهم ويصفون اكثر النابغين فيهم بخيانة الامة والوطن .وهو وصف لاينطبق على أحد منهم وانما علتهم الضعف واقتل سببه خذلان أمتهم، ليس لهم تربية ملية تجمعهم . ولا وحدة في التعليم تضمهم. وثروتهم

عرضة للزوال باسرافهم . لا يشعر بعضهم بمصاب بعض . وليس لمجموعهم شرايين ولا أوردة يكون به جسما واحداً يمد بعض أعضائه بعضاً بالغذاء ودفع الاذى

هذا ما رأيت عليه المسلمين وفيهم من النابغين ما ليس في القبط . ليس عندهم قضاة كقضاتنا . ولا محامون كمحامينا . ولا اداريون كادارينا . ولا أطباء كاطبائنا . ولا كتاب ككتابنا ولا شعراء كشعرائنا . أعني ان النابغين فينا أكثر وارقى من النابغين فيهم ، ولكنهم أرقى منا في الحياة الملية والمقومات القومية التي يكون بها أفراد الشعب كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وكالجسم الواحد اذا اشتكى له عضو تداعي له سائر البدن بالحمى والسهر ، كما وردت الأحاديث في وصف المؤمنين ، وقد فقد المسلمون قوة هذه الصفات التي جعلها الله سر دينهم وآية ايمانهم فلم يغن عنهم النابغون شيأ

هذا التفاوت بين شعبين يشارك أحدهما الآخر في جميع مرافق الحياة تحذر عواقبه ، ولا تؤمن مغبته ، احدهما قوي بالاتحاد والتكافل ، والآخر قوي بالكثرة ضعيف بالتخاذل ،

دأب المتحدين الطمع في سلب مرافق المتخاذلين ، وبذلك ساد بعض الشعوب على بعض ، وكثيراً ما كانت الفئة القليلة ، هي التي تسود الفئة الكثيرة ، والطامع قد يوغل في حقوق الغافل بغير رفق ، والعنف في الايغال قد يفضي الى العنف في الدفاع ، فيكون من ذلك مالا خير فيه للبلاد ، فاحببت منذ سنين أن انبه المسلمين الى ما تصان به حقوقهم ، مع حفظ المودة بينهم وبين من يعيش معهم ، فكتبت في ذلك كثيرا ، ولكن المسلمين كانوا في شغل عن ذلك ، فيقل فيهم من قرأ ما كتبت ويقل فيمن قرأ من فهم ويقل فيمن فهم من اعتبر ، ويقل فيمن اعتبر من حدث غيره بما أصاب من العبرة . وهكذا شأن الغافلين المغرورين ينتبهون بالحوادث لا بالاحاديث

انني مؤمن والمؤمن لا ييأس من روح الله . ولا يقنط من رحمة ربه . ولو يئست من حياة المسلمين لما رأيت شيئا من الخطر على البلاد في استمرار غفلتهم ، الى أن تصير وظائف الحكومة وثروة البلاد في أيديهم ، سواء أوغلت القبط في ذلك برفق أو بعنف ، فان الامراض التي تموت بها الامم تكون كداء السكتة يذهب بحياة المرء وهو لا يشعر بأنه يموت . ولكنني أعتقد ان

في مسلمي مصر حياة ضعيفة لم تصل الى درجة التكافل والتضامن ، وان الخير في تقويتها بالدعوة الى حفظ المصالح ، لا بالدعوة الى دفاع الهاجم ، وان هذا لا يكون الا قبل أن يغلبوا على مصالحهم ، ويروا أنفسهم مسخرين لمن كانوا دونهم ، يومئذ يخشى أن لا يروا في أيديهم الاسلاح الكثرة فيستعملونه للضرورة فيما يضر البلاد من الاعتصابات والفتن ، فتلافي ما يخشى في المستقبل مذ الآن ، هو الذي يحملنا على هذا البيان .

ما رأيت استحسانا عاما لشيء نشر في الجرائد بعد رد الاستاذ الامام على هانوتو كاستحسان ما كتبته في هذه الايام من المقابلة بين المسلمين والقبط . يذكر لي ذلك كل من أراه . وكتب الي والى المؤيد غير واحد يشكرون لي ذلك ويطلبون المزيد منه ، أذكر هذا تمهيداً لقول بعض هؤلاء الحامدين الشاكرين : لماذا لم تنبهنا من غفلتنا بمثل هذه المقالات قبل اليوم؟ ولهؤلاء أقول انني قد فعلت وقلما قررت حقيقة في هذه الايام الا وقد بينتها من قبل في المنار أو في بعض الجرائد اليومية ولكن المسلمين كانوا في غمرة ساهين لا يعنون بما يكتب ولا يحفلون به الا ما يكون عند الحوادث المؤلمة والصيحات المزعجة ثم لا يلبثون أن

ينسوا ويعودوا الى سابق لهوهم وسهوهم، حتى خشيت أن نكون كما قال شاعرنا من قبل في مثله الذي يشبهنا فيه بالغنم الراعية تظل غافلة متمادية في رعيها حتى اذا ما سمعت نباة صائح ترتاع وترفع رؤوسها تاركة الارتعاء فاذا سكت الصائح عادت الى سابق شأنها أعني بهذا قول ابن دريد في مقصورته

نحن ولا كفران لله كما قد قيل في السارب اخلى فارتعى
اذا أحس نبأة ريع وان تطامنت عنه تمادى ولها

صاحت القبط منذ ثلاث سنين مثل صيحتهم في هذه السنة فكتبت مقالة في المنار عنوانها (المسلمون والقبط) كان لها باعتدال الرأي والادب في العبارة أحسن الوقع فنقلها بعض أصحاب الجرائد اليومية ولخصها بعض آخر ، فلم تلبث القبط أن سكتت صيحتها ، وسكنت في الظاهر دون الباطن ثورتها، فنسي المسلمون ما كان ، حتى تجددت الصيحة في هذا العام بأقوى وادوم مما كان في سابق الاعوام

افتتحت تلك المقالة بهذه الجملة :

«سبق لنا قول في هاتين الطائفتين بمصر بينا فيه أن المسلمين من حيث هم أفراد أرقى من القبط في كل علم ، وأن القبط من

حيث الاجتماع والتعاضد الملي أرقى من المسلمين ، فلهم مجلس ملي وجمعيات وجرائد دينية تبحث دائما في مصالحهم العامة من حيث هم قبط ، وهم يتعاونون ويتحدون في المصالح . وهذا ماحمدتهم وأحمدهم عليه وأتمنى لو يوفق المسلمون لمثله ، وان كنت أعلم أنه لو أنشأ المسلمون جمعية للرابطة الاسلامية كجمعية الرابطة المسيحية لما وجدوا في القبط مثل احمد بك زكي يقوم فيها خطيباً ويجعل عنوان خطابته « مصريون قبل كل شيء » بل يخشى ان يقوموا كما تقوم اوربة ويقول الجميع ان المسلمين في مصر يحيون التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية ويدعون الى ارتباط بعضهم ببعض لمقاومة النصارى في مصر بل في جميع الارض »

ثم بينت نسبة القبط الى المسلمين في العدد وفي أعمال الحكومة وأنهم أكثر فيها من المسلمين وهم يدعون على ذلك انهم مظلومون مهضومون ويطلبون لانفسهم سائر أعمال الحكومة التي في أيدي المسلمين ، وأنهم يسمون أنفسهم أهل البلاد ، ويدلون ويفخرون على المسلمين بالانتساب الى آل فرعون ذي الاوتاد، الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد ، ويجهرون بأن المسلم فيها أجنبي محتل ، وأتاوي معتد ، وينكرون أن يكون للمسلمين فيها حق

من حيث هم مسلمون فاتحون ، على ادعائهم الحقوق فيها من حيث هم قبط مسيحيون ، وبينت فيها مواثبتهم للمسلمين من أضعف جانب يرونه فيهم وهو تهييج الانكليز وسائر الاوربيين عليهم بتهمة التعصب الاسلامي ، وكون هذه المواثبة تفضي الى ندم المسلمين على ما قاموا به من دعوة الوطنية واعتقاد أنها كانت خساراً عليهم وربحاً وفوزاً للقبط ، وأنهم اذا خسروا مودة المسلمين فلا يمكن أن يجدوا عوضاً خيراً منها فانهم لا يقدرون على استغلال أرضهم بعد ذلك

وبينت هنالك أن القبط لا يمتازون على غيرهم من نصارى المصريين ويهودهم وانما ميزهم المسلمون عناية بهم ، وبحثت في دين الحكومة الرسمي وذكرت مساعدة بعض رجال الدين من الانكليز لهم ، وأن المساواة التى يطلبونها هي امتياز على المسلمين من وجه آخر

نصحت للقبط في تلك المقالة نصيحة لو عقلوها وعملوا بها لما وقعوا في السيئة التي ندموا الآن أن اجترحوها ، وقد سبني في هذه الايام كتابهم في جرائدهم ولو عقلوا قولي لاستبدلوا الثناء بالهجاء فقد بينت لهم الآن كما بينت لهم من قبل ان المسلمين

يغلب عليهم النسيان والتواكل، وانه لاشيء يحول دون سلب القبط منهم كل ما في أيديهم الا هذه الجعجعة بالقبطية والمسيحية، التي تدفعهم بالرغم منهم لمقابلتها بالجنسية الاسلامية، وهذا نص نصيحتي لهم منذ ثلاث سنين :

« فالرأي عندي للقبط ان لايغتروا بترجيع بعض الجرائد الافرنجية لاصواتهم في الشكوى من المسلمين والقول بتعصبهم ولا من سرور بعض الانكليز به — ان كان ماقيل حقاً — فانهم مهما أصابوا من تعضيد في مشاقة المسلمين فهو لا يكون خلفاً صالحا لمودتهم فيما أرى . فأنصح لهم ان يتوبوا مما فعلوا ويعتذروا عنه ويعودوا الى سابق شأنهم، أو الى خير منه ان استطاعوا . والمسلمون تغلب عليهم سلامة القلب فلا يلبثون ان يغفروا لهم، وينسوا ما كان منهم، ففي حديث أبي هريرة عند ابي داود والترمذي « المؤمن غر كريم » أي ليس بذي نكر ولا مكر ولا خداع . ولولا أني أحب الوفاق لما نصحت لهم بهذا فانني أعلم ان هذه المشاقة لا تزيد المسلمين الا قوة في رابطتهم الاسلامية التي أدعو اليها، وحفظا لحقوقهم التي اغار عليها، ولكنني أفضل ان يكون تنبيهي لهم بغير هذا :

« احب ان يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا ، وان يكونوا مع ذلك على وفاق ووئام مع من يعيش معهم ، وانصح للمسلمين ان لا يكتبوا شيئاً في الرد على القبط ولو لم يكتبوا في الماضي ما كتبوا لكان خيرا لهم واحسن اطفاء لتلك الفتنة وخذلاناً لموقظيها . ولكن لا بأس ببيان عدد الموظفين منهم في كل مديرية ، وذكر الوقائع في تعصب بعضهم لبعض ، وتعاونهم الملي المحض ، من باب بيان الحقيقة والاعتبار بها ، بشرط أن يتحرى الصحيح ، ولا تمزج الرواية بشيء من التأنيب والتجريح ، فضلا عن الهجر والتقبيح »

لم تعمل القبط بهذه النصيحة لاعتقادها أن المسلمين قد قضي عليهم ، وانهم أمسوا مشلولين لا حراك بهم ، وزادها غرورا ان رأت المسلمين نسوا تلك الغارة الشعواء ولم يأخذوا حذرهم من مثلها ، ولا سمعوا نصيحتي باحصاء الموظفين ، لبيان أن القبط غابنون غير مغبونين ، فهاهم أولاء قد استدركوا في هذه المرة ما فاتهم في الغابرة ، فكانت كرة القبط كرة خاسرة

اني على تنبيهي للمسلمين وحرصي على حفظ مصالحهم ومرافقهم ورغبتي في ترقيتهم أجري على ما تعودت من المحافظة على مودة

كل من يعيش معهم ويشاركهم في أوطانهم ولهذا قلت انني أحب نصحهم بغير هذه الوسيلة ولذلك أشرت عن الحركة الاولى الى ما يسكنها وقد سكنت وابت القبط الا أن تعود الى تحريكها وثبت لنا ان المسلمين لا ينتبهون الا بمثل هذه الصيحات المنكرة في وجوههم

نبهت قبل هذا على النسبة بين المسلمين والقبط في مصر وبينهم وبين غيرهم في الاقطار الاخري بمقالات اجتماعية شخصت الحال تشخيصاً وذكرت بما يجب تذكيراً. وانى للغافل الذكرى؟ كتبت في الجزء الاول من مجلد المنار الثامن الذي صدر في المحرم سنة ١٣٢٣ (مارس سنة ١٩٠٥) مقالا عنوانه (حياة الامم وموتها) عرفت فيه حياة الامة بانها أثر روح يسري في أفرادها فيشعرهم بان مكان كل واحد منهم من مجموع الامة مكان أحد أعضائه من جسده فهو يلاحظ في كل عمل منفعة نفسه ومنفعة امته معاً كما ان عمل كل عضو في البدن يكون سبب حفظ حياته من حيث هو سبب لحفظ حياة البدن كله » وقارنت بين حياة الافراد وحياة الامم وبين حياة الاجسام وحياة النفوس وضربت المثل لامة تموت بالوارث المسرف، ولامة تحيا بالتاجر المقتصد ، ذلك

ينقص ماله الكثير كل يوم وهذا يزداد ماله القليل كل يوم . وأول ما يخطر في بال المصري في هذا المقام ورثة شريف باشا واجراؤهم وخدمهم من القبط أولئك أضاعوا ثروتهم الواسعة فصاروا فقراء ، وهؤلاء امتصوا تلك الثروة فصاروا أغنياء

قلت في تلك المقالة « معرفة شؤون الامم والشعوب ، أخفى على الاكثرين من معرفة حال الافراد والبيوت ، فكم من جاهل يفضل أمة على أخرى لانها أصح ديناً وأعدل شريعة ، أو لانها أشرف أرومة ، وأعرق في المجد جرثومة ، أو لان تراثها من سلفها أكثر ، ومزاياها الجنسية اشهر ، أو لانها أكثر عدداً ومدداً . وأعز عشيرة ونفراً . واذا صح ان يكون هذا كله أو بعضه للأمة التي تموت زمناً من الازمان . فانه لا يبقى الا ريثما تتصل بها أمة حية . فترى هذه تمتص جميع مزايا تلك ومقوماتها الحيوية ، وتلك تحمل آفات هذه وعللها البشرية ، حتى تكون احداها في عليين ، والاخرى في أسفل سافلين »

« يسهل على القارئ في الشرق القريب أن ينظر فيما بين يديه من الشعوب التي تضمها جنسية سياسيه أو لغوية ، وتفصل بينها روابط نسبية ، أو ملية فانه يرى شعبين يمتاز أحدهما بكثرة

العدد وكثرة المال ، وقوة الحكم وقوة العلم ، ثم يجد نفسه تفضل قليل المزايا منهما على كثيرها · لانه يرى الشعب الكثير المزايا يتمزق ويتفرق فتذهب مزاياه بذهاب الاعوام ، والشعب القليل المزايا ينمو ويسمو ويجتمع ويتألف فيعتز ويشرف باقبال الايام ، يرى الشعب الكبير يتخادل فيتضاءل ، والشعب الصغير يتلاءم ويتعاظم، وما ذلك الا أن في أحدهما نسمة حياة تدفع عنه الاعراض الضارة بالشعوب فيقوى ويزكو، وتغذيه كل يوم بغذاء جديد فينمو ويسمو ، وليس في الآخر شيء من هذه الحياة فهو كجسم العاشق يذوب ويضمحل ، ويحقر ويذل »

ثم بعد مقارنة أخرى بين شعبين يحيي الكبير منهما ويموت الصغير فندت رأي من يجعل للصغر والكبر دخلا في الحياة والاتحاد بما نصه :

« لا يغرنك ما ترى من آيات الحياة في امة تقطعت روابطها، وانفصمت عروة الثقة بين أفرادها ،وبغض اليها النظام، وفقدت التلاحم والالتئام ، وان كان ما نراه أخلاقا كريمة ، ومعارف صحيحة ، وثروة واسعة ، وسلطة نافذة ، مع العلم بأن هذه الاشياء كلها هي آثار الحياة توجد بوجودها وتذهب لذهابها ، فقد يكون

ذلك من بقايا ارث قديم ، يعبث به الفساد الحديث ، الأن ترى العلم والاخلاق تقرب البعيد وتجمع الشتيت ، وتزيد في الثقـة بين الناس ، وتدعوا الى التعاون على البر والاحسان ، وترى الثروة تجمع مع ملاحظة مصلحة الامة وينفق جزء منها على المنافع العامة » الخ

وقد كتبت في تلك السنة (١٣٢٣) مقالةأخرى عنوانها « المسلمون والقبط — أو — آية الموت وآية الحياة» كان سببه ما كتبه المؤيد وكتبته جريدة الوطن في مسألة « التعليم الديني والحكومة » وما طلبه القبط من مساواتهم بالمسلمين فيما يشترط في اعفاء حفاظ القرآن من خدمة العسكرية . وذكرت في هامشها انني « طالما عزمت على كتابة مقالات في المقابلة بين مسلمي مصر وقبطها وبين المسلمين والنصارى عامة ثم أرجأتها» وسبب الارجاء انتظار الفرص التي تنبه الاذهان الى ما يكتب والنفوس الى العبرة به

وجملة القول اننا نرى ان القبط يطلبون ما ليس بحق شرعي لهم وانما يطلبونه بقوة الاتحاد الملي وضعف المسلمين وتخاذلهم ونري المسلمين تضيع حقوقهم الشرعية وهم غافلون . ونرى

أن القبط قد أيقظوا المسلمين ونبهوهم قبل الوصول الى حد اليأس الذي تخشى عاقبته . ونرى ان بيان حق كل ذي حق ومكان كل من الآخر هو الذي يمكن أن يبنى عليه الصلح الثابت ، والوفاق الدائم ، وسنبين في النبذة التالية مكان كل من هذه الحكومة وهل هي حكومة اسلامية أم لا

***

النبذة السابعة

هل الحكومة المصرية اسلامية أم لا

انني بحثت وأبحث في مقالي هذا عن الحقيقة الكائنة لاعن الرغيبة التي أحب أن تكون . والعاقل هو الذى يحب جلاء الحقائق ، وبيان الواقع الكائن ، ويستفيد منه عبرة ، ويزداد بصيرة ، فيسلك الى مقاصده في طريق النور لاطريق الظلمة . ولو تدبرت القبط هذا لكافأتني جرائدها بالحمد والشكر . لا بما جاءت به من السب والهجر .

من هذه الحقائق التي أبينها في هذه النبذة وقد أشرت اليها من قبل ان المسلمين يعدون أنفسهم أمة جنسيتها الاسلام وأنه يجب أن يكون لهم حكومة اسلامية . وان جنسيتهم هذه واسعة عادلة لاتفرق في العدل بين المسلم وغيره . وذات سماحة وحرية لاتمنع أهلها أن يشاركوا غيرهم فيها وفي جميع مرافق الحياة . كما ولوا القبط في القديم والحديث الى هذا اليوم أكثر أعمالهم في الحكومة وكذا في عقارهم وأرضهم وأوقافهم

بالغوا في التسامح وأسرفوا في الجود والسماحة في أيام قوتهم وقنعوا من السلطة باسم السيادة وكونهم هم المعطين وغيرهم هو المعطى حتى اذا ماحل بهم الضعف صار ماأعطوه للاجانب حقوقاً وامتيازات يستعلون بها عليهم ويزيدون فيها بقوتهم ماشاؤا، ويفسرونها كما أرادوا . وقد كان هذا بتكافل الدول القوية واتحادها بالتدريج فأذاقوا المسلمين مرارة تفريطهم لقمة بعد لقمة ، وجرعة في إثر جرعة ، فتجرعوه كارهين مكرهين ، كما بذلوه من قبل راضين مرضيين .

أرادت القبط أن تقيس نفسها على الدول الكبرى فتسمي ماسمح لها به المسلمون حقوقا واجبة وتزيد فيها ماتشاء ، فأنشأت تطلب

لنفسها الزيادة فيما سمته حقوقا وازالة ما بقي للمسلمين من امتياز اسلامي بمشاركتها لهم فيه . وقد كان هذا مما يسيغه المسلمون المساكين جرعة بعد جرعة كما أساغوا تلك الامتيازات مع الاعتراف لهم بأن الحكومة حكومتهم . ولكن أبت جرائد القبط ومؤتمر القبط الا أن تنازع المسلمين اسم السلطة كما نازعتهم معناها . وانها لاحدى الكبر التي لم يئن للمسلمين في مصر أن يسيغوها مختارين

مضت سنة الله في أهل السيادة الذين يضيعون سيادتهم بسوء تصرفهم أن يكون آخر مايهتمون به الأسماء والالقاب والرسوم والشارات الظاهرة كما هو معروف في تاريخ الشرق والغرب

دع ذكر ملوك الطوائف وأمراء المسلمين من الاندلس الى فارس والهند واعتبر بحال أمراء جبل لبنان من مسلمي الشيعة تجدهم في آخر عهدهم ، بعد أن ملكت النصارى حتى من خدمهم واجرائهم معظم ما كان لهم ، كانوا يقنعون من الامتياز باللقب ولبس الاحذية الحمر التي كانت خاصة بهم من دون الفلاحين حتى كان الشيخ منهم يكون له الحقل أو الكرم الواحد من الارض والعقار فيهدي اليه الفلاح النصراني حذاء أحمر (جزمة)

ويظهر له انه جيء به فلم يرد أن يلبسه تأدباً معه ، فيهبه الشيخ اياه وربما كان آخر مايملكه

أصابت القبط موضع التأثير من قلوب المسلمين بقولها ان حكومة مصر ليست اسلامية (أو حركت الوتر الحساس من نفوسهم كما تقول الافرنج) وقد جعل هذه الدعوى خطيبهم في مؤتمر أسيوط قضية مسلمة لحمد الله وحمد نية المصريين ان كان الذين يقولون منهم ان هذا البلد اسلامي لايتجاوزون عددالاصابع وهذاألطف ماقالوه في هذا الباب لانهم قالوه بعدالعلم بأن المسلمين تألموا من مؤتمرهم وعزموا على انشاء مؤتمر اسلامي

نعم ان المسلمين مفتونون بالحكومة في كل مكان ، وهذا هوالواقع وان أضر بهم في هذا الزمان ، فانه صرفهم عن ترقية أنفسهم، والاعتماد على استعدادهم ومواهبهم، ألم تروا ان المسلمين بمصر قداهملوا امر الامةوتركوهاللمرابين والمقامرين والقوادين والخمارين يغتالون ثروتها ، ويجنون على دينها وعرضها وصحتها ، وجعل اصحاب الجرائد وغيرهم من المتصدين والمتصدرين للامور العامة يجاهدون الحكومة والاحتلال المسيطر عليها ، وقدترك للامة حريتها تعمل ما تشاء فلم تعمل شيئاً يذكر ولماذا ؟ لان

الزعماء شغلوها بفتنة السلطة عن نفسها حتى انهم كانوا يعدون من يجب ان يكون هم الامة الاكبر في ترقية نفسها بالتعليم والتربية والثروة خائنا للامة خادما للاحتلال ، لان الواجب عندهم قبل كل شيء هو ازالة الاحتلال ثم اصلاح الامة بالحكومة المستقلة

مقاومة الاحتلال بالسهل الممكن وهو الكلام طبيعي لا اعتراض عليه، والانتقاد على الحكومة - والحرية واسعة - طبيعي لا بد منه ، وانما المنتقد هو جعل المسلمين همهم كله في ذلك ، واهمالهم أمر تربية الامة وتكوينها ، وقد سلم من هذا الانتقاد القبط فكونوا أنفسهم حتى صاروا على قلتهم يقولون « الامة القبطية » بحق ، وانما أخطؤا أخيرا بما نازعوا المسلمين في شكل الحكومة وتصريحهم بأنها غير اسلامية

الحق الواقع ان جمهور المسلمين يرون ان حكومة مصر اسلامية وشعورهم في هذا رقيق جدا يجرحه القول اللطيف ولهذا كان لورد كرومر وهو ذلك الشجاع الجبار يتحامى ان يلمس أي شيء له علاقة بالدين ، وهذه هي سنة السياسة عند الفحول المقرمين من أهلها ، وعليها جرى الكثيرون في ابقاء

بعض امراء المسلمين في البلاد التي ملك الافرنج أمرها كله كسلاطين جزائر جاوه وباي تونس وبعض النواب في الهند لتتوهم العامة أن حكامها من أبناء دينها

هذا هو شعور الجماهير واني لأعرف من المسلمين من يرى أن الخير للمسلمين أن تعلن هذه الحكومة رسميا انها غير اسلامية وان تترك للمسلمين جميع شؤونهم الملية يديرونها بأنفسهم كما تركت مثل ذلك للقبط وغيرهم كالمحاكم الشرعية والاوقاف والمعاهد الدينية كلها

يري هؤلاء ان هذا الاعلان اذا حصل يذهب بغرور المسلمين بهذه الحكومة التي لاحظ لهم من عنايتها ، ويبدلهم من بعد اتكالهم استقلالا واعتمادا على عملهم ، ومن بعد كسلهم نشاطا واقداما على ترقية أنفسهم ، حتى اذا ما ارتقوا وتكونوا بتوحيد التربية الملية والتعليم الحر فصاروا أمة واحدة تكون حكومتهم تابعة للرأي العام المستقل في الامة لان هذه هي عاقبة جميع الامم المرتقية

تقول القبط ان هذه الحكومة مصرية لااسلامية وحاكمها العام حاكم مدني لا حاكم ديني . وقد يحتج من يرى هذا بأنها

تشرع مالم يشرعه الاسـلام من القوانين وتبيح مالم يبحه من الفسق . وقد يرد عليهم الجمهور بأن خطأ الحكومة في هذه المسائل كخطأ الافراد فكما يخالف أفراد المسلمين هداية دينهم فيزنون ويسكرون تخالف حكومتهم هذه الهداية فلا تمنع الزنا والسكر. وحكم الفقه أن المعصية لاتخرج صاحبها من الاسلام الا اذا جحد تحريمها وكان مجمعاً عليه معلوما من الدين بالضرورة . وكما تكون الامة يكون أولياء أمورها لانهم منها . وقد عرض لهذه الحكومة من سلطة الاجانب ماجعلها غير مختارة ولا مستقلة في كل شيء اسلامي لكن السلطة الاجنبية لم تمح منها كل ماهو اسلامي

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا تستولى على مال من يموت من المسلمين عن غير وارث ، ولا تستولي على مال من لا وارث له من القبط وغيرهم من النصاري واليهود

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا تتولى هي القضاء الشرعي الاسلامي في الاحكام الشخصية وتدع مثل ذلك لغير المسلمين يحكمون فيه بما يعتقدون، ان القاضي الاكبر الذي يتولى السلطة الشرعية العليا من قبل خليفة المسلمين يحكم بين الناس بمذهب الخليفة والامير وكذلك سائر القضاة . ولا يحكم أحد

منهم بين المتخاصمين بأحكام المذهب الذي يتقلدونه بل جعلوا قضاء مصر حنفياً محضاً كالقضاء في بلاد الترك الحنفية ، واهل مصر شافعية ومالكية الا القليل

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا لا تترك للمسلمين أوقافهم كما تركت للقبط وغيرهم أوقافهم ، فاذا كان الخديو كما تقول القبط حاكما مدنيا فقط ونسبة المسلمين والقبط اليه من حيث هو حاكم واحدة فهل يرضون بكل مايتفرع على هذا الاصل ويجعلون له الحق أن يعطي من أوقاف القبط للمنافع المشتركة (كالجامعة المصرية) كما يعطي من أوقاف المسلمين

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا تضع هي القوانين للمعاهد الدينية التعليمية كالازهر وغيره من جوامع العلم الديني وتولي هي المشايخ عليه ومشايخ المذاهب وترفع بعضهم في الرتب العلمية الدينية على بعض . ولماذا تولي أئمة الصلاة وخطباء الجمعة ولا ترى لها مثل هذا الحق في معاهد الديانة النصرانية من الاديار والكنائس وقسوسها ورهبانها وسائر رجال دينها وانما تكتفي ببعض الرسوم الدالة على ان هذه الديانة من

الديانات التي أقرتها الحكومة في بلادها ولها عليها حق الحماية وحفظ الحرية الدينية . وليس لكل أهل دين هذا الحق في كل حكومة فالبابية ليس لهم حقوق دينية في بلاد الدولة العثمانية كالنصارى مثلا

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا تترك العمل في الاعياد الدينية الاسلامية وتحتفل بها احتفالا رسمياً كما تحتفل بالمولد النبوي الشريف دون أعياد القبط وغيرهم ودون مولد سيدنا عيسى عليه السلام ومثل ذلك الاحتفال بمحمل الحج وكسوة الكعبة المعظمة

لست أعني بهذه الامثلة والشواهد انها كلها من الفرائض أو السنن في أصل الاسلام ، أو من الاحكام التي فرضها الدين على الحكام ، فالصحابة والتابعون والائمة المجتهدون لم يحتفلوا بذكرى المولد ولا المعراج كما تحتفل الحكومات الاسلامية الآن وإنما أعني أن هذه الخصائص من آثار كون الحكومة اسلامية

تريد القبط أن تمحو هذه الخصائص ومن وسائلها الى ذلك طلب ترك العمل في يوم الاحد وطلب جعل أموال الحكومة المصرية شرعاً بينهم وبين المسلمين لاينفق شيء منها في مصلحة

اسلامية الا وينفق مثله في مصلحة قبطية وهذا أصل عام يتفرع منه اذا قبل محو جميع خصائص المسلمين في هذه الحكومة . وتحتج القبط على حقيقة هذا الطلب بأن هذه الحكومة مصرية لا اسلامية فهذا هو الاصل عندها فاذا قبلته الحكومة ترتب عليه ماطلبوا أو أكثر مما طلبوا من الفروع

وإذا محصنا المسألة وبينا حقيقتها نرى ان المطلوب هو اخراج هذه الحكومة عن كونها اسلامية بازالة كل اختصاص للمسلمين فيها ولكن أبوا أن يعترفوا بهذا الاصل ويطلبوا هدمه ورجحوا ان يهدم بهدم ما بني عليه . وهذا من الدهاء والحكمة لأن طلب ابطال الفروع أخف على النفوس من طلب ابطال الاصول فانه من قبيل الدعوى بالدليل ، ولان من اعترف بالاصل لزمه الاعتراف بالفروع . فما جروا عليه هو الاقوى والانفع لهم وهو أشد على المسلمين في باطنه وحقيقته ، وأخف في ظاهره وصورته .

ان الدولة العثمانية أم الحكومة المصرية واقفة أمام مثل هذه المسألة في بلادها . فقد قام النصارى بعد الدستور يطالبون بنحو ما تطالب به القبط . ولكنهم لايزالون يخفون أكثر مما يظهرون وليس موضوع كلامي أبداء رأيي أو ميلي في تخطئة هذا أو ذاك

ولا تصويبه وانما رأيت الامر غمة على المسلمين والنصارى كافة وما رأيت أحداً يتجرأ على بيان الواقع فأحببت ان أبينه كما هو لا كما يجب أن يكون

الواقع ان الحكومة العثمانية حكومة اسلامية قبل الدستور وبعده وان الحكومة المصرية مثلها وتابعة لها في كونها اسلامية وانما تختلف في شيء واحد وهو انها مستقلة في ادارتها الداخلية بعهد (فرمان) من السلاطين. وان الاحتلال الاجنبي مسيطر عليها.

وقد صرح القانون الاساسي للدولة بأن دينها الرسمي هو الاسلام وأن سلطانها هو خليفة المسلمين . والدين في حكومتها أظهر منه في الحكومة المصرية التي هي تحت سيادتها . فان شيخ الاسلام هنالك هو العضو الاول في مجلس النظار وباب المشيخة الاسلامية من أكبر نظارتها . واذا تناقش مجلس الامة من المبعوثين أو الاعيان في مسألة وقال أحد منهم انها مخالفة للدين لايستطيع أحد أن يقول لاضرر في ذلك بل يذعنون ذلك بعدم التسليم له فلو كان جميع المبعوثين من المسلمين عالمين بالشرع الاسلامي وأرادوا أن يطبقوا جميع القوانين على أحكامه لفعلوا بلا معارض

هذا هو الواقع هنا وهناك وهو يثقل على القبط وسائر النصارى وان كان انجيلهم يأمرهم أن يخضعوا لكل حاكم، وان يعطوا ماليقصر لقيصر، وما للّه للّه ، ويفخرون بأن دينهم فصل بذلك بين الدين والحكومة ، ولكنه لا يثقل على اليهود الجامع كتابهم بين الدين والحكومة ، بل يكتفي هؤلاء من الحكومة بأن تمنحهم الحرية في دينهم وكسبهم ، وقد وجدوا من هذه الحرية في بلاد المسلمين أيام قوتهم وأيام ضعفهم مالم يجدوه في بلاد أخرى في الحالتين

النصارى أحرص الناس على السلطة والحكم وللتربية الافرنجية في نفوسهم تأثير عظيم في ذلك فهم لا يرضون من الحكومتين العثمانية والمصرية تمام الرضى الا بالانسلاخ التام من الاسلامية ، ولكن هذا الانسلاخ مما لا يستطاع الا بالتدريج البطيء في الزمن الطويل فان الاشخاص والاقوام والحكومات تتكون كطبقات الارض بفعل الزمن الطويل وما كان كذلك لا يمكن تغييره دفعة واحدة كما قلنا ولهذا بينت من قبل أن القبط قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ومنعهم بغضهم للعرب أن يهتدوا فيه بحكمة شاعرهم التي سيرها مثلا وهي .

قد يدرك المتأني بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

قلت هذا لأن ما يطلبونه من سلخ الحكومتين من الاسلامية لا يمكن أن يحصل الا بالتدريج وبموافقة المسلمين لهم عليه . وقد وجد من المسلمين الجغرافيين (أي الذين يعدون من المسلمين في احصاء الجغرافية وان لم يعرفوا ماهو الاسلام) من يرون هذا الرأي ، ويسعون هذا السعي ، بالدعوة الى حل الرابطة الاسلامية ، والاستعاضة عنها بالرابطة الوطنية أو الجنسية. وقد صار لاصحاب هذا الرأى أحزاب وزعماء يقودون المسلمين الى حيث يجهلون ، وترك رجال الدين زعامة الامة وقيادتها وهم يعلمون ان منهم الملحد ومنهم الفاسق الذي يشرب الخمر ويزني أو يلوط ، ومنهم الذي يحل الربا ، وأمثال هؤلاء الزعماء أحرص على سلخ الحكومة من الدين من النصارى لانه يتعذر عليهم أن يجمعوا بين شهواتهم وأهوائهم والزعامة في قومهم ، وبين الحكومة الاسلامية

لو صبرت القبط والنصارى في البلاد العثمانية لكفاهم هؤلاء المسلمون الجغرافيون الامر ، كما بينته من قبل ، ألم يروا أنه لا يوجد مشروع اسلامي الا ويكونون هم المقاومين له لانهم يخشون

قوة الدين على زعامتهم ووطنيتهم ، وان كان من قوم لا عناية لهم بالزعامة ، ولا يحبون أن يقربوا من نار السياسة : ولكنهم اذ لم يصبروا ، يخشى أن يجيء الامر على ضد ما طلبوا .

يحسن ان يقنعوا الآن بما لهم في الحكومتين من الحرية الواسعة ، وجواز مشاركة المسلمين في أكثر أعمال الحكومة أو كل ما لا يختص بالدين منها ، والقبط أجدر بهذه القناعة من غيرهم لان اكثر أعمال الحكومة الخديوية في أيديهم وليتدبروا حال الحكومات الاوربية العريقة في الحكومة النيابية ، كيف لا تزال على ندرة المخالفين للامة في دينها تفضل مذهب الجمهور والحكومة على غيره ، حتى أن فرنسا وهي الجمهورية التي صرحت بأنه لا دين لحكومتها لا يمكن ان تجعل من اليهود المالكين على أزمة القوة المالية فيها قوادا للجيش ولا للاساطيل ولا رؤساء للجمهورية ، دع معاملتها لمسلمي الجزائر وتونس

ان لتصريح القبط وغيرهم بهذه المسألة عواقب تتوقع ولا سيما اذا أجيبوا اليها (منها) تنبيه غيرة المسلمين الغافلين الى وجوب اقامة حكومتهم لشريعتهم ، ولا يمكن للحكومة العاقلة أن تخالف رغبة الجمهور الاعظم من رعيتها الى رغبة النزر اليسير ولو فيما ترغب هي فيه

(ومنها) تصدي الدولة العلية للمداخلة في الامر باسم الخلافة والسيادة اذا أجابت الحكومة بعض المطالب تفريعا على الاصل الذي تقرره القبط وهو انها غير اسلامية . وقد سمعنا هذه الايام صوت مجلس المبعوثين في الاستانة يبحث عن القاضي الاكبر والقضاه في مصر ويطالب بالمحافظة على الشرع فيها وعهد الى شيخ الاسلام بالبحث عن ذلك وايضاح ما يقف عليه للمجلس وما نظن ان الحكومة الانكليزية تحب فتح هذا الباب في هذا الوقت

(ومنها) ان المسلمين في جميع الاقطار يعدون مصر باب الحرمين الشريفين ومعهد علوم الدين ، فاذا علموا ان حكومتها خرجت عن كونها اسلامية يألمون بالطبع وتنفرج مسافة الخلف بينهم وبين النصارى وذلك لا يرضي به محب الانسانية .

(ومنها) ان الانكليز يحسبون لسخط رعاياهم المسلمين في الهند وغيرها حسابا اذا هم وافقوا القبط على ذلك جهرا ، والمسلمون أشد أهل الهند اخلاصا لهم في هذا الوقت

(ومنها) ان هذا يذهب بكل أمل المسلمين في هذه الحكومة فيكون علة لرجوع المسلمين الى استعدادهم الذاتي واعتمادهم

على انفسهم ، وحينئذ يخشى ان تخسر القبط منهم اكثر مما تربح من الحكومة ، وان يعود الامر الى نصابه بقوة الاتحاد التي فقدها المسلمون باتكالهم على حكومتهم

(ومنها) ان القبط ترجح على المسلمين رجحاناً ظاهراً يخشى ان يترتب عليه مع تعصب بعضهم لبعض فتن كثيرة ، وهذا مما لا ترضى به حكومة في الدنيا ولا يعقل ان يرضى به الانكليز

وصفوة القول ان فتح باب هذه المسألة كان من الخطأ الذي يضر القبط دون المسلمين فانه أيقظ هؤلاء فاذا استمروا على يقظتهم كان فيه الخير العظيم لهم ، واذا عادوا الى غفلتهم كان ضرره على القبط تأخير مطالبهم وبعد ما كان قريباً منها عنهم

نعم ان القبط يستفيدون من هذه الحركة اكتناه استعداد المسلمين ، فاذا فاز المؤتمر المصري اضطروا الى معاملة المسلمين معاملة جديدة ورضوا أن يكونوا منهم مكان الاخ الصغير من الاخ الكبير الذي يكون رئيس العشيرة أو بما دون ذلك ، واذا خاب المؤتمر بسعي المفرقين من المسلمين ، علموا ان السيادة في هذه البلاد ستكون لهم ولو بعد حين

وسيكون المؤتمر المصري موضع النبذة الثامنة من مقالتا هذا

النبذة الثامنة

المؤتمر المصري

ان بركات هذا المؤتمر قد سبقت وجوده فان القبط لما علموا بالعزم عليه اضطروا الى سلوك سبيل الأدب في التعبير، وتنكب السبيل التي سار عليها كتابهم في الجرائد وهي سبيل الغميزة والتعيير، ولكنهم لم يرجعوا عن مقصد من مقاصدهم، وأهمها إنكار كون حكومة مصر إسلامية، وادعاء انهم أعلى كفاءة من المسلمين وانهم أخذوا معظم وظائف الحكومة بحق الكفاءة ويطلبون ما يطلبون من سائرها بحق الكفاءة،

غرهم اتحادهم وتخاذل المسلمين وطعن بعض أفرادهم وأحزابهم ببعض، ولاسيما بالنابغين منهم في الحكومة، فادعوا ما هو بديهي البطلان في مسألة الكفاءة الشخصية، وما يكاد يكون حقاً ظاهراً في الكفاءة العصبية الملية، لولا أن انبرى أولئك الاكفاء الفضلاء الى تأليف هذا المؤتمر الاسلامي المصري.

وكل ما هو مصري فهو إسلامي اذا عرف المسلمون أنفسهم ، وتعاونوا على القيام بمصالح قطرهم ، لان غيرهم قليل فيكون بالضرورة مدغماً فيهم ، ليس له وجود مدني خاص بدونهم ، ولكن وجودهم المدني - وقد اجتمعوا وتعاونوا - لا يتوقف على وجود غيرهم ،

لولا غرور القبط باتحادهم ، وتخاذل المسلمين وتفرقهم ، لما طلبوا الرياسة الادارية بدعوى الكفاءة . وكيف تعرف كفاءة المرء في أمر ليس له فيه عمل ، ولم تسبق له فيه تجربة ، ومن ذا الذي يشهد لهم بهذه الكفاءة وشهادة المرء لنفسه باطلة ، ولم يشهد بها المسلمون ولا المحتلون وهم أبناء دينهم ، فاذا كانوا يعتدون بشهادة أولياء الامور فليتركوا الامر اليهم ، والا فليأتوا بشهدائهم ان كانوا صادقين

أما أنا فأقول ان هذا المؤتمر هو الذي يشهد لهم أو عليهم. ولا أعني بشهادته ما يأتي به خطباؤه من البينات والحجج وإنما أعني شهادة الحال ، دون شهادة المقال ، فان لسان المقال قد يكذب وقد يختلب لب السامع بالشعريات المتخيلة ، فيبرزها في صور الحقائق المقررة ، كما فعل خطباء القبط في مؤتمرهم . وأما لسان

الحال فهو الصدوق الذي لا يعرف الكذب ، و المحق الذي لا يأتيه الباطل ، فنجاح المؤتمر المصري بالثبات والنظام والعدل والانصاف والاتحاد والتعاون هو الذي يشهد للمسلمين على القبط ، وشهادته لا تكون بذلك الا حقاً ، لان تلك الصفات هي روح الحق

أبطأ مسلموا مصر في هذا المؤتمر كما أبطأ اخوانهم مسلمو الهند في مثله من قبل

سبق وثنيو الهند مسلميها في عقد المؤتمر السنوي والجمعية الملية ، والمسلمون هنالك أقل من الوثنيين عدداً ، وسبق قبط مصر مسلميها في انشاء المجلس الملي وفي عقد مؤتمر قبطي ، والمسلمون في مصر هم الاكثرون عدداً ، فما هو سبب ذلك ، ههنا وهنالك ،

كان المسلمون هم أصحاب العزة والسلطان الغالب في الهند كمصر ، فعاش الفريقان الزمن الطويل بعد دخول الاجانب في بلادهم ، مغرورين بسابق عزهم وسلطانهم ، ولم يشعروا بحاجتهم الى حياة اجتماعية جديدة في هذا العصر الجديد كما شعر الهندوس هناك والقبط هنا لعدم غرورهم ، وانما استيقظ مسلمو الهند قبل مسلمي مصر لان الغرور بالحكومة الاسلامية قد زال من نفوسهم من قبل وان أبقت لهم انكلترة بعض النواب (الامراء)

كالتماثيل الأثرية أو الموميا في متاحف العاديّات ، وبقي مسلمو مصر مغرورين متكلين على حكومتهم ، مشغولين بسلطة الاحتلال المسيطرة عليها ، حتى زلزلت القبط هذا الغرور باتحادها وتكافلها وفغر أفواهها لابتلاع الحكومة كلها ، كما أيقظ مسلمي الهند اتحاد الهندوس وتكافلهم وتقدمهم عليهم بعد ان كانوا دونهم ، فليس لقلة المسلمين النسبية في الهند ولا لكثرتهم في مصر دخل في هذه المسألة الاجتماعية ، وانما هي فتنة السياسة ، والغرور بشكل الحكومة ، قد أذهلا الامة عن نفسها ، وصرفاها عن استعمال مواهبها ، حتى كادت تفقد نفسها ومواهبها

ان الامم الأوربية التي يجب ان نعتبر بحالها هي التي أصلحت حكوماتها ، ولم تكن حكوماتها هي التي اصلحتها ، فاذا ارتقت الامة ترتقي الحكومة بالضرورة ، وقد قال السيد الافغاني الحكيم : العاقل لا يُظلم ولا سيما اذا كان امة

يجب على زعماء الامم ان يوجهوها الى قواها الذاتية ، وثروتها الطبيعية ، وان ينموا هذه القوى والثروة ، حتى تكون مصدر سعادة الامة ، وان يحولوا دون افتتان العامة بالسياسة ، والاشتغال بامر الحكومة ، فان ذلك يشغلها عما تحسنه وتقدر

عليه ، بما لا تحسنه ولا قبل لها به، وقدورد في الحديث الشريف « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » رواه الشيخان في صحيحيهما

يعني انه ينبغي للانسان أن يعمل ويشتغل بما يميل اليه استعداده فانه هو الذي يرجى ان يتقنه ، ومن حكمة الله في اختلاف الاستعداد ، أن يتقن مجموع البشر جميع الاعمال، فمسألة الحكومة والسياسة فتنة عظيمة في كل الشعوب ولا سيما في دور الانقلاب الاجتماعي والانقلاب السياسي

ان للامة حقوقا على العلماء والكتاب والاغنياء الذين يهتمون بالامور العامة ويتصدون لها. منها خدمة مصلحتها الدينية والادبية ، ومنها خدمة مصلحتها الاجتماعية، ومنها خدمة مصلحتها الاقتصادية ، فاذا حصروا عملهم في السياسة أو جعلوه كله باسم السياسة ، أضاعوا عليها هذه المصالح والمنافع التي لاقوام لها ولا بقاء الا بها ، ولا سيما في مثل هذه البلاد التي ليس لها من أمر سياسة نفسها الا الكلام بقدر ماتسمح به حرية الحكومة. وإني اعتقد أن الامة لا ترتقي اذا كان همها كلها موجها الى شيء واحد وناهيكم اذا كان ذلك الشيء هو السياسة التي لا يشتغل بها في كل

الامم الا القليلون ، ولا يحسنها ممن يشتغل بها الا الاقلون ،
أمرنا الكتاب العزيز أن نسير في الارض ونعتبر بأحوال الامم ، فاذا نحن بلونا أخبار الشعوب الغربية وسبرناغور ترقيتهم نرى أنهم ماوصلوا الى ماوصلوا اليه من العزة والثروة ، الا باهتمام النابغين منهم بترقية الامة ، والاستعانة على ذلك بالجمعيات والشركات ، وتوزيع الاعمال بحيث يشتغل بكل نوع منها طائفة لا تشتغل بغيرها حتى تحسنها

اذا اختبرنا حالهم في التربية وخدمة الدين نظن انه لا هم لهم من الحياة غير دينهم ، ذلك بأن لهم جمعيات دينية كثيرة قد تبرعوا لها بالاموال ووقفوا لها الاوقاف حتى صارت تملك الملايين من الجنيهات ، وقد عمت التربية الدينية عندهم ثم فاض طوفانها على جميع ش[illegible] الارض فانشأوا فيها المدارس والملاجىء والمستشفيات ، وطفقوا يبثون فيها دينهم وينشرون كتبهم مترجمة بجميع اللغات ، وان الفقراء منهم ليساعدون هذه الجمعيات على قدر حالهم حتى ان منهم من يحرم نفسه من شرب الشاي أو من سكره أو من اللحم شهراً أوشهوراً أوسنة ويجعل ما كان ينفقه في ذلك للجمعيات الدينية كما يعلم ذلك من كتبهم وجرائدهم

اذكر مثالا صغيرا من ذلك وقع في هذه البلاد: كتب قسيس انكليزي يقيم في شبين الكوم في جريدة دينية انه يريد ان يطوف القرى في الارياف للتبشير بالانجيل وانه يحتاج الى دراجة (بيسكلت) لذلك ولا يملكها. فما لبث ان امطرت عليه بلاده الدراجات الجيدة حتى صار بيته مخزنا لها لا يكاد يسعها، وتبع هذا من الدراهم والهدايا ما لا حاجة بنا الى عده

واذا دققنا النظر في اعمالهم المالية نظن انه لا هم لهم من الدنيا الا المال والاحتيال على جمعه وتصريف أمور العالم كله به وناهيكم بمصنوعاتهم التي يعيش العالم كله بها، ولا تكاد تقع عين أحدنا الا عليها

واذا بحثنا في العلوم والفنون كل منها على جدته فانه يسبق الى اذهاننا عند الوقوف على عنايتهم بكل علم وجدنا انهم لم يشتغلوا بغيره ولا يحفلون الا ببلوغ الغاية منه حتى انهم جعلوا لكل فرع من فروع العلم الواحد جمعيات خاصة لاجل اتقانه

فاذا أردنا الاعتبار بحالهم مع الاستضاءة بنور العقل فعلينا أن ننظر في مقومات أمتنا ومصالحها العامة ونختص بكل منها

طائفة تشتغل بها دون غيرها لان اتقان العمل الذي هو س
الترقي لا يكون الا بذلك

عندنا جمعيات خيرية وتعليمية ودينية ونقابات مالية وزراعية
وشركات تجارية وصناعية وتألفت عندنا مجالس المديريات لاجل
تعميم التعليم وهذه المصالح كلها لا تزال ضعيفة ونفعها محصور
في دائرة ضيقة ، فهي الآن كالاعضاء المتفرقة يجب اتصالها ليكون
عمل كل منها متمما لعمل الآخر ، أو كالشرايين المنفصلة يجب
اتصالها بالقلب لتستمد منه وتمده ، أو كالاسلاك البرقية التي يصل
كل منها بين بلدين أو اكثر من المملكة ولا تتصل بالمركز العا
الذي يصل بعضها ببعض ، وما دامت مصالحنا متفرقة على هذا
النحو لا نكون أمة متحدة فيجب ان يكون لجميع مصالح الامة
العامة سمط واحد تنتظم فيه حباتها ويزاد عليها حتى تكون عقد
كاملا ، يجب ان تتصل هذه الاعضاء العاملة فتكون جسما واحد
يعمل كل عضو منها عمله الخاص به لاجل منفعة سائر الاعضا
فالسمط الذي نحتاج اليه لتكوين عقدنا الاجتماعي بل الد
او القلب الذي نحتاج اليه ليمد جميع اعضاء الامـة بالحياة
هذا المؤتمر

ما سرني شيء في مصر كما سرني تألف هذا المؤتمر وانما يتم السرور ان شاء الله تعالى بنجاحه ودوامه، واني اقترح عليه ما يغلب على ظني ان غيري يقترحه والحق تزيد قيمته ويعلو شرفه بكثرة طلابه ، ولكن لا ينقص شرفه بقلتهم، فان الحق كالجوهر الخالص ، شرفه ذاتي له وانما يعلو ويغلو بمعرفة الناس لهذا الشرف وتنافسهم فيه أي بأمر عارض غير ذاتي

كفاني قانون المؤتمر امر اقتراح سلبي لا بد منه ، ولا يرجى بقاء المؤتمر ونفعه الا به ، وهو عدم الاشتغال بالسياسة ، فالسياسة ما دخلت في شيء الا افسدته كما قال الاستاذ الامام ، فيجب ان تترك لنفسها ويفوض أمرها الى أحزابها ، وان يشتغل المؤتمر بما دونها من مصالح الامة فيجمع متفرقها ، ويكمل ناقصها ويوحد وجهتها ، ليكون عمل الكل موجها الى غاية واحدة

للمؤتمر عمل عارض موقت وأعمال دائمة مقصودة لذاتها ، فالعمل العارض الموقت هو تمحيص مطالب المؤتمر القبطي وبيان حقه من باطله

يقول الله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) الآية . ولا أحسن من بيان الوقائع وإثبات الحق

بالاحصاء الصحيح ، وبذلك يثبت المؤتمر أنهم طلبوا من أعمال الحكومة ما لو أعطوه لاضحت الحكومة قبطية خالصة ، ويسهل على المؤتمر ان يثبت ما يعترف به بعض القبط من تعصب رؤسائهم لهم في جميع المصالح وتقديمهم على المسلمين ومن كان هذا شأنهم فاسناد الوظائف الرئيسية اليهم يخشى ان يفضي الى ما لا تحمد عقباه من التعصب والغلو في الخلاف حيث تكون الحكومة كلها في أيديهم

وليس فيما قاله القبط في مؤتمرهم وما يكررونه كثيراً في جرائدهم أمراً ذا بال الا تصريحهم بأن هذه البلاد ليست إسلامية وحكومتها ليست حكومة إسلامية .

ان القبط على احتراسهم في مؤتمرهم وتحاميهم الالفاظ التي تكبر المؤاخذة عليها قد صرحوا بأنه لا يقول ان هذه البلاد إسلامية للمسلمين فيها ما ليس لغيرهم الا افراد لا يجاوزون عدد الاصابع ، صرح بذلك خطيبهم توفيق بك دوس المحامي ولجريدتيهم كلام كثير في ذلك أوضح مما قاله خطيب مؤتمرهم . وعلى هذا بنوا وجوب تعليم الدين المسيحي في مدارس الحكومة وبطالة يوم الاحد

فيجب على المؤتمر ان يبين ما يترتب على هذه الدعوى وهو انه اذا كانت الحكومة الخديوية تعترف من نفسها بأنها غير إسلامية أو يكرهها المحتلون على ذلك فان المسلمين لا يرضون ان تكون محاكمهم الشرعية تابعة لها ، ولا أوقافهم ومدارسهم الدينية تحت ادارتها ، ولا وضع تركات من يموت منهم عن غير وارث في خزينتها ، بل يطلبون حينئذ ان يستقلوا بجميع امورهم الدينية كالقبط وغيرهم . فاما الحكومة فلا تعترف بهذا واما المحتلون فلا يتحملون تبعته

لا أحب أن أطيل في المسألة القبطية أصولها وفروعها وانما كتبت ما كتبته من قبل لتنبيه المسلمين الى ماهم في أشد الحاجة اليه ، وهو ان يعرفوا أنفسهم ممن معهم ، ويعرفوا مالهم وما عليهم ، وأنا واثق بأنه يسهل على المؤتمر المصري أن يبين للمنصفين من شعوب المدنية وغيرهم ان القبط غابنون لا مغبونون ، وأن المسلمين مغلوبون بتساهلهم لا غالبون ، وان الخير للقبط ان يقنعوا بما هم فيه من النعم ، وأن لا يطلبوا شيئاً باسم القبط ، ولا ينازعوا في صبغة الحكومة الاسلامية ، وأن يعودوا عما تجرءوا عليه من تهمة المسلمين بالتعصب الديني عليهم لنصرانيتهم ، ومن تحريض أوربة

عليهم ، وعن اللهجة البذيئة التي سنتها لهم جرائدهم

كل هذا مما يسهل على المؤتمر بالبراهين ولكن القبط لا تذعن له الا اذا رأت من المسلمين الحزم ومجاراتها في توثيق الرابطة الملية والتعاون الديني على الترقي . فاذا هم عرفوا حدهم ، واعترفوا بحق غيرهم ، فاني أحب للمسلمين أن يستوصوا بهم خيراً ، ويعطوهم أكثر مما يستحقون ، كما كانوا من قبل يفعلون ، ولا أحب للمسلمين ان يرجعوا بصفقة المغبون ، الذي لا هو محمود ولا هو مأجور

أعمال المؤتمر الدائمة

أما أعمال المؤتمر الدائمة فكثيرة لا يمكن شرحها في هذا المقال وانما نشير فيما نقترحه في خاتمته الى أصولها وقواعدها

وأما فائدته فأكبرها عندي ما أشرت اليه آنفاً من توحيد المصالح والاعمال العامة التي تقوم بها الامة دون الحكومة ومساعدتها عليها وتوجيهها الى المقصد الصحيح الذي ترتقي به الامة في معارج الكمال المادي والمعنوي ، ويدور ذلك كله على أربعة أقطاب (١) التربية الملية والتعليم (٢) إرشاد العوام الى

تحسين معيشتهم في آدابهم وأعمالهم وصحتهم ومعاملتهم لمن يعيش معهم من موافق ومخالف (٣) حفظ ثروة الامة وتميتها بالوسائل الحديثة، والتوقي من الغوائل التي تغتالها (٤) مواساة العاجزين والبائسين وإعانة المنكوبين والغارمين.

سيشرح خطباء المؤتمر هذه المقاصد كلها أو بعضها ويبينون وجه الحاجة إلى مايتكلمون فيه وما ينبغي ان يقرره المؤتمر ويقوم به، وانما يقرر المؤتمر المطالب العامة بالاجمال، واما التفصيل الذي يترتب عليه التنفيذ فيتوقف على تأليف لجان تختص كل لجنة منها بعمل من الاعمال، ويكون روح الاعمال كلها تكوين الامة وتوحيد وجهتها في حياتها الاجتماعية

فاذا بحثنا في مقصد التربية والتعليم نرى ان تربية أبنائنا وبناتنا مفرقة لأجزاء أمتنا ممزقة لاعضائها حائلة دون ان نكون أمة متحدة، لامكونة للأمة: أي ان التربية والتعليم اللذين نتنافس فيهما، ونبذل النفيس لاجلهما، ونظن ان فيهما عزتنا وارتقاءنا، هما حائلان دون كل مانطلبه من وحدة الامة وارتقائها

﴿ المدارس والتربية والتعليم ﴾

ماهو المقصد العامّ من المدارس، ومن يدير هذه المدارس

ويحقق لنا ما نقصد منها ، وهل الذين تخرجوا في هذه المدارس متحدون في أفكارهم ومقاصدهم ، متوجهون الى توحيد الامة وجعلها مثلهم ،

لا بقاء للأمة الا بالمحافظة على عقائدها وآدابها وشعائرها الدينية وأخلاقها وعاداتها ولغتها وهي مقوماتها ومشخصاتها التي تكونت بها بالوراثة وفعل القرون كما تتكون المعادن في الارض ، فاذا طرأ على هذه المقومات والمشخصات بفعل الزمن ما يعيبها ويشوهها ويجعل الاستفادة منها قليلة كان الواجب على المربين والمعلمين ان يزيلوا تلك العيوب كما يزال الصدأ عن الحديد لا ان يزيلوا الجوهر نفسه ويضعوا مكانه جوهراً آخر

قال صلى الله عليه وسلم « الناس معادن خيارهم جاهلية خيارهم إسلاما اذا فقهوا » والامم معادن كالافراد وعمل المربين فيها كعمل الصناع في المعادن وبعملهم تظهر مزاياها ومنافعها فمهرة الصناع يصقلون الحديد الاسود حتى يكون أبيض لامعا كالمرآة حتى تفضله بلونه على الفضة المهملة في المكان الرطب يتغير لونها ويزول بهاؤها

كذلك الامم تظهر محاسنها ومنافعها في زمن دون زمن

بالتربية والعلم، وجوهرها هو جوهرها لا يتغير في نفسه الا بزواله وفنائه أوادخاله في جوهر آخر كما يمزج قايل من المائع في غيره فيغيب عن العين ويزول ذلك الوجود الخاص به . فقد كان كل من الشعبين الانكليزي والفرنسي جاهلا لا مزية له في عالم المدنية ثم تعلما وارتقيا وبقي كل منهما ممتازاً بمقوماته ومشخصاته فمنها في الاول الرصانة والثبات والبطء في التحول عن الشيء ولو قبيحا، وفي الثاني الذكاء والخفة وسرعة التحول ، ولكل من الخلقين المتضادين منافع ومضار ، ولكن المنافع هي التي تغلب في طور الحياة والارتقاء ، والمضار هي التي تغلب في طور الضعف والانحطاط

غرضنا من هذا المثل إننا محتاجون الى تربية تزيل الصدأ الذي طرأ على جوهر امتنا حتى يظهر جوهرها نقيا ويسهل الانتفاع به ، والى تعليم نعرف به طرق استعمال مواهبنا الفطرية وخيرات بلادنا فيما يرقينا ويرفع شأننا . ولكن أمر تربيتنا وتعليمنا ليس في أيدينا فلا رأي لسراتنا ولا لأهل العلم والبصيرة منا في أكثره

نلتي بناتنا في مدارس الراهبات ومدارس الامريكان فهل يتعلمن فيها آداب ديننا وأحكامه ويتربين على عباداته وأخلاقه؟ ألا إننا نعلم انهن لا يتعلمنها ولكن يتعلمن ما ينفر منها ، ويبعد عنها ، فيخرجن

لا نصرانيات على آداب النصرانية ، ولا مسلمات على الآداب والفضائل الاسلامية ، وهل يرجى صلاح بيوت هذا شأن رباتها؟ أم يرجى ان تكون الامة المكونة من هذه البيوت أمة متحدة مرتقية؟

عندنا مدارس أهلية ابتدائية للبنات فهل نجد فيها من الفضيلة وآداب الاسلام وعباداته ما نفقده في مدارس الافرنج ؟ لا لا

ان أمثل المدارس مدارس الحكومة ولا غناء فيها ، فجميع مدارس البنات في هذا القطر غير صالحة للتربية التي نحن في أشد الحاجة اليها ، ولا يرجى أن توجد المدارس الصالحة ونحن في هذه الفوضى بالمصادفة ، ولكننا اذا خرجنا بهذا المؤتمر من هذه الفوضى فاننا نجد ما نرجو كما نحب لانه يكون برأي الامة وتدبيرها

ان جميع المدارس المصرية من افرنجية وأهلية وأميرية غير صالحة للتربية الملية التي ترتقي بها الامة بتزكية جوهرها الفطري وحفظ مقوماتها الملية، كل هذه المدارس تجذب المتعلمين والمتعلمات فيها الى التفرنج فتفتنهم بلغة غير لغتهم، وآداب غير آدابهم وعادات غير عاداتهم ، كما تخفض مقام ملتهم وقومهم في أنفسهم، وتعلي فيها مقام أقوام آخرين ، كلها آلات محللة بل سيوف مقطعة لمقومات

الامة ومشخصاتها، لاهمّ للمتخرجين فيها الا ان يجدوا مالاً يبذلونه للاجانب ثمنا لما عندهم من اللذات والزينة ، بل يبذلون القناطير منه في القمار والمضاربات ومالا لذة فيه الا الهوس والخبل وفنون الجنون

فعلى المؤتمر ان يتدارك هذا الفساد قبل ان يعم ويتعذر تداركه بفشوه في كل الطبقات والاجماع على استحسانه

تلك إشارة الى وجه الحاجة الى المؤتمر في أحد تلك المقاصد العامة والاقطاب التي تدور عليها مقاصد الامة [illegible] نقس عليه سائرها

وجملة القول ان المرجو من المؤتمر أن يكون سلك النظام للاعمال الحرة التي تقوم بها الامة من الجمعيات والنقابات والشركات ، يوحد وجهها ، ويساعد كلا منها بقدر الطاقة

ليس المراد من ذلك ان تكون الجمعيات جمعية واحدة ، ولا الشركات شركة واحدة ولا النقابات كذلك ، ولا ان [illegible] قوانينها ونظاماتها ، ولا ان يكون المؤتمر مسيطرا عليها ، فان ذلك ينافي توزيع الاعمال ، ومباراة العاملين ، ولا ترتقي الامم الا بهذا التوزيع الذي هو وسيلة الاتقان

وانما المراد ان هذه المصالح كاعضاء البدن : العينان تبصران

والاذنان تسمعان واليدان تعملان والرجلان تسعيان وكذلك الاعضاء الباطنة كالمعدة والكبد تعمل اعمالها كل هذه الاعمال الاختيارية وغير الاختيارية تجري على نظام واحد غايته حفظ البدن كله ، والقلب يمدها كلها بالدم الذي يعينها على اعمالها ، وبالنظام المقدر ، والقدر المعين ، والنظام قوام الوجود ، ومعيار الاعمال ، ووسيلة الكمال ،

اقتراح صاحب المنار

﴿ على المؤتمر المصري ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

« وائتمروا بينكم بمعروف »

أحيي رجال هذا المؤتمر الكرام الذين هم موضع الرجاء في ترقية أهل هذا القطر السعيد وإعلاء شأنه ، وأكاشفهم بما عندي من الرأي وان كنت أظن ان غيري سبقني اليه كله أو بعضه

ان هذا المؤتمر هو الذي يمثل حياة مسلمي مصر الاجتماعية ودرجة ارتقائهم وما يرجى لهم من المزيد وقد سبقهم الى مثله مسلمو الهند . وانما نجاحه بثباته ودوامه ، ولا يثبت ويدوم الا بما تقرر من جعله بمعزل عن السياسة ، وحصر اعماله في ترقية الامة بالتربية والتعليم والكسب والاقتصاد والتكافل والتضامن في المصالح والمرافق . واما تمحيص مطالب القبط وبيان ما هو الحق في هذه المسألة فهو اهون أعمال المؤتمر العارضة

فأقترح على المؤتمر أن يكون له خمس لجان دائمة تعمل وتسعى لتحقيق مقصده العالي

﴿ الاولى اللجنة الادارية ﴾

يناط بهذه اللجنة كل ما يتعلق بالنظام والادارة العامة ويكون أعضاؤها مختارين من جميع الاحزاب والطبقات

﴿ الثانية لجنة التربية والتعليم ﴾

يناط بهذه اللجنة النظر في التربية الدينية العملية والتعليم في جميع المدارس الاهلية التي للجمعيات والافراد وما كان وسيكون لمجالس

المديريات لتوحيد نظامها وموادها وتوسيع دائرتها فانه لا شيء يضر البلاد ويفرق كلمة الامة كاختلاف التربية والتعليم. ويتألف اعضاء هذه اللجنة من اعضاء تلك الجمعيات والمجالس ومن نظار المدارس الشخصية . والجمعيات التعليمية عندنا هي الجمعية الخيرية الاسلامية وجمعية العروة الوثقي وجمعية المساعي المشكورة

واقترح ان يكون من اعمال المؤتمر التي تنظر فيها هذه اللجنة أولا ثم تحوله الى اللجنة الادارية مساعدة الجمعية الخيرية الاسلامية على إنشاء مدرسة كلية إسلامية للبنات يتربى فيها البنات على عبادات الاسلام وآدابه واخلاقه ويعلم فيها تدبير المنزل وكل ما تحتاج اليه ربات البيوت بالعمل ، وما يعلي افكارهن ونفوسهن من العلوم ، فان البيوت لا تصلح الا بالتقوى والفضيلة والنظام والعلم والادب التي تحلى بها النساء ويفضن منها على أولادهن

﴿ الثالثة لجنة الوعظ والارشاد ﴾

يناط بهذه اللجنة العناية بأمر العامة في القطر كله بتعيين وعاظ في كل جهة يطوفون البلاد والقرى يعلمون الناس أمر دينهم وما لا بد منه من أمر دنياهم كالمحافظة على الصحة والالفة

والمودة بينهم وبين من يعيشون معهم على اختلاف مللهم ونحلهم وكالحذر من المرابين والغاشين والمقامرين والدجالين الذين يأكلون أموالهم بالباطل، وينفرونهم من البدع والخرافات والعادات الضارة في الاحتفالات والافراح والاحزان وغيرها، ومن المعاصي الفاشية في الارياف كالاعتداء على الاموال والاعراض والانفس والثمرات والزروع وغير ذلك كشرب المسكر والحشيش ويكون اعضاء هذه اللجنة من الازهريين ومتخرجي دار العلوم وجماعة الدعوة والارشاد

﴿ الرابعة اللجنة المالية الاقتصادية ﴾

يناط بهذه اللجنة النظر في ديون الاهالي وبيان طرق الارشاد والمساعدة على وفائها بقدر الامكان، وفي حفظ الثروة مما يغتالها بجهل اربابها وسفاهتهم كالربا الفاحش الذي اهلك الفلاحين، وفي ترقية الزراعة والتجارة والصناعة في البلاد. ويكون اعضاء هذه اللجنة من رجال النقابات الزراعية. والشركات المالية على اختلاف موضوعها، ومن كبار المزارعين والتجار. واظن ان الكثيرين

من اعضاء المؤتمر يبينون هذه المسألة بالايضاح الذي ليس وراءه غاية يصل اليها مثلي

﴿ الخامسة اللجنة الخيرية ﴾

يناط بهذه اللجنة النظر في أحوال العجزة والبائسين المستحقين للاعانة على ضروريات المعيشة أو على الكسب أو التربية والتعليم. وتتألف هذه اللجنة من بعض أعضاء الجمعية الخيرية الاسلامية وجمعية الملاجىء العباسية وجمعية الاسعاف وجمعية رعاية الاطفال ومن غيرهم من أهل الفضلية والفطنة. ويكون من أهم أعمالها جمع ما يمكن من مال الزكاة وصدقات التطوع وجلود الاضاحي وغير ذلك وصرفها في مصارفها الشرعية بلا محاباة. وإني أعرف من الناس من يحار في البحث عن المستحقين للزكاة الشرعية فان اكثر المستجدين الذين يتكففون الناس في الطرق لايوثق باستحقاقهم لاتخاذهم الشحاذة حرفة وكسبا. فاذا وجدت في المؤتمر لجنة من أهل العدالة والتقوى والعلم يضعون الزكاة في مصارفها الشرعية فأهلها يسرون بدفع زكاتهم اليها وتوكيلهم بصرفها للمستحقين لها. وبقيام المؤتمر بهذا وظهور فائدته للناس بسعيه يقيم هذا

الركن الاسلامي الذي هدم في هذه البلاد حتى لم يبق منه الأثر دارس وهو ما امتاز به الاسلام على جميع الاديان

اقترح على المؤتمر تأليف هذه اللجان ووضع النظام لاعمالها، وان يكون هو الصلة بين الجمعيات والنقابات والشركات والمجالس التي تخدم البلاد فيمدها بالرأي والمال ويستمد منها مايساعده على توحيد المصلحة وتوجيهها الى المقصد من ترقي الامة المادي والمعنوي مع محافظة كل منها على الاستقلال في العمل فتكون كاعضاء الجسم كل عضو يعمل عمله لمصلحة البدن كله

ويكون المؤتمر كالقلب الذي يمد كل عضو بالدم النقي الذي يقوى به على عمله

واقترح ان يكون للمؤتمر مركز عام في القاهرة تجتمع فيه اللجان في الاوقات التي يعينها النظام في اثناء السنة وتضع كل لجنة منها تقريراً ينظر فيه المؤتمر في كل وقت انعقاده كل سنة وينفذ مايمكن تنفيذه ان شاء الله تعالى

